



روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل

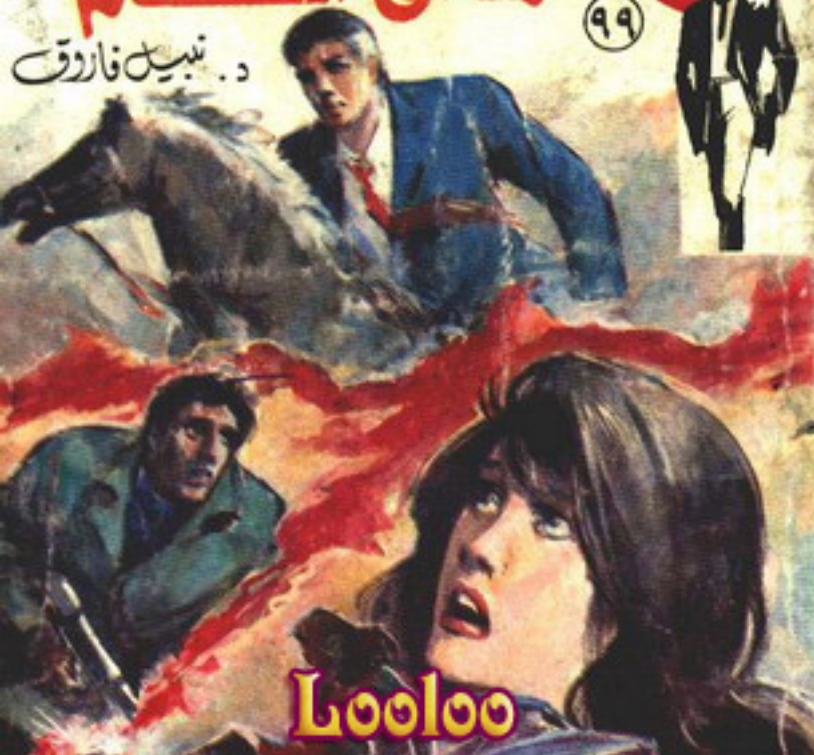


مذاق الدم

٩٩



د. نبيل فاروق



Looloo

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه ؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لست لغات حية، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعددة .
لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١- القادم الجديد ..

تجمعت السحب على نحو غير مألوف، فى سماء (تل أبيب)، فى ذلك اليوم، ومط رجل المخابرات الاسرائيلى (ليو دايان) شفتيه فى امتعاض، وهو يغغم لنفسه :

- كم أكره مثل هذا الطقس .

قالها وتناساها بعد لحظة واحدة، وهو يطلق من بين شفتيه صفيذا منغوما، ويدور فى شفته الصغيرة بخفة ومرح، ثم لم يلبث أن توقف أمام مكتبه، والنقط مطروفا منتفخا، تحسسه فى سعادته، ثم فتحه، وراح يتأمل رزم الدولارات الأمريكية الخضراء داخله، قبل أن يغغم فى هيام، وكأنه يهمس فى أذن معشوقته :

- المال .. ما أحلى المال .. إنه الأكسيد السحري، الذى يمنحك كل متع الدنيا، وكل الـ ...

قطع حديثه لنفسه رنين مفاجئ لجرس الباب، فعقد حاجبيه، وتطلع إلى شاعته، متممًا :

- إنها السادسة والنصف صباحا .. من ذلك الوقح ،
الذى يأتى لزيارتي . فى مثل هذه الساعة المبكرة .
زفر فى سخط ، ووضع المظروف فى درج مكتبه
بعناية ، ثم اتجه إلى الباب ، وانحنى يتطلع عبر العين
السحرية فى منتصفه إلى القادم ، ولكنه لم يكد يفعل ، حتى
ارتد فى عنف ، كمن صعقه تيار كهربى ، وهتف فى دهشة
عارمة :

- (موشى) .

وعلى الرغم من انفعاله ، فتح الباب بسرعة ، وحاول
أن يرسم على شفتيه ابتسامة ما ، وهو يقول :
- ويا عزيزى (موشى دزرانيلى) .. أى رياح طيبة
ألقت بك إلى ، فى مثل هذا الصباح الجميل ؟
بدا وجه (موشى حاييم دزرانيلى) بارذا جامذا كعادته ،
وهو يقول :

- كيف حالك يا (ليو) ؟

أفسح له (ليو) الطريق ، وكأنه يدعوه للدخول ،
وهو يقول :

- فى خير حال .. تسعدنى رؤيتك كثيرا .. ولكن .

ومع كلمته الأخيرة ، كان (موشى) قد دلف بسرعة إلى
المنزل ، وأغلق الباب خلفه ، ثم التفت إليه ، فى برود :

- ولكن ماذا ؟

ارتبك (ليو) لحظة ، ثم ضحك فى عصبية ، وقال :

- أعنى أن الوقت مبكر للغاية .

شد (موشى) قامته ، وهو يقول :

- فليكن .. لن نضيع الوقت .

ولم يكد يتنمها ، حتى كانت قبضته تهوى على فك (ليو)
كالقنبلة ، وتلقى به مترين إلى الخلف ، فارتطم بقطع
الأثاث ، وسقط معها أرضا فى عنف ، قبل أن يهتف
مدعورا ذاهلا :

- ما الذى يعنيه هذا ؟

قطع (موشى) المترين بقفزة واحدة ، وجذبه من شعره
فى قسوة ، وهو يخرج من جيبه قرصا صغيرا ، ويضعه
أمام عينى (ليو) مباشرة ، قائلا :

- هل تعرف هذا ؟

اتسعت عين (ليو) فى هلع واضح ، كشف أمره تماما
على الرغم من تراجعته التالى ، وهو يقول فى عصبية :
- ما هذا بالضبط ؟

لكمه (موشى) فى معدته بقوة رهيبية ، وهو يقول :

- إنه جهاز التصنت الأنيق ، الذى وضعته فى حجرة
العدير يا صديقى .

صرخ (ليو) من فرط الألم ، وراح يلهث فى قوة ، وهو
بمسك معدته فى توجع ، صانحاً :

- أى جهاز ؟ .. لأشأن لى مطلقاً ب ..

قاطعه (موشى) فى صرامة :

- لا فائدة من الإتكار .. لقد فحصنا البصمات ، وعرفنا
أنك صاحبه .

هتف (ليو) :

- هذا ليس دليلاً .. من الممكن أن ..

أخبرته لكمة ساحقة من قبضة (موشى) ، حطمت
الثنتين من أسنانه الأمامية ، وقطعت شفته السفلى ، وألقته
أرضاً فى عنف ، وعندما حاول النهوض ، أصابته ركلة
قوية فى أنفه ، فامتزجت دماؤه بالدماء النازفة من الشفة
المقطوعة ، وصاح (ليو) فى عصبية شديدة :

- أتظننى غير قادر على القتال ؟

نطق العبارة ، وهو يقفز ليلكم (موشى) ، ولكن هذا
الآخر تفادى الضربة فى رشاقة مدهشة ، وهوى على
معدة (ليو) بكلمة ثانية ، وثالثة ، ثم حطم واحدة أخرى من
أسنانه بكلمة كالصاعقة ، وانقض عليه قبل سقوطه ، وجذبه
من شعره فى قسوة رهيبة ، وهو ينتزع مسدسه ، ويلصقه
بصدغه ، قائلاً :

- هنا يا رجل .. إننى لست رجل شرطة أو قاضياً ،
ولا تهمنى الأدلة والقرائن والبراهين .. إننى هنا لأعرض
عليك صفقة واحدة .. إما أن تعترف بكل مالدريك ،
وتخبرنى بكل ما أرغب فى معرفته ، أو أقتلك بلا رحمة ،
كما لو كنت كلباً أجرب .. ولن أمنحك العمر كله لتقرر ..
أمامك فقط نصف دقيقة من الآن .

وجذب إبرة المسدس بصوت مسموع ، ارتجف له جسد
(ليو دايان) كله ..

كان يعرف (موشى حايم دزرائيلى) جيداً ..
ويعلم أنه لا يمزح ..

ولا يخدع ..

إنه يعنى بالفعل كل حرف نطق به ..

ولن يتورع (موشى) أبداً عن قتله ، والتمثيل بجثته
لو لزم الأمر ، دون أن يطرف له رمش ..

ولكن الاعتراف يعنى أيضاً الكثير ..

يعنى أن (ليو) سيصم نفسه بالخيانة ..

والموت هو أيضاً عقاب من يفعل ذلك ..

وفى ضراعة ومرارة وانهيار ، تتمم (ليو) :

- (موشى) يا صديقى .. أرجوك ..

قاطعه (موشى) بصفعة قوية، ثم مال بمسدسه،
وألصقه بفخذ (ليو)، وضغط الزناد ..

وكان الألم رهيباً ..

لقد اخترقت الرصاصة فخذ (ليو)، ونفذت من جانبه
الآخر، بعد أن حطمت عظمة الفخذ، فصرخ (ليو)
فى انهيار :

- لا .. لا تفعل .. أرجوك .

أعاد (موشى) المسدس بسرعة إلى صدغ (ليو)، وهو
يقول فى صرامة باردة :

- بقيت عشرون ثانية فقط .

سالت الدموع من عينى (ليو)، من فرط آلامه
الرهيبه، وعذاب نفسه الشديد، وتعمم بصوت تنفطر له
القلوب :

- أتوسل إليك يا (موشى) .. أريد سيارة إسعاف ..

أريد ..

أدار (موشى) مسدسه مرة أخرى، وأطلق منه رصاصة
هشمت ركبة (ليو)، الذى أطلق صرخة مفزعة، فى حين
بدا (موشى) هادئاً بارداً، وكأنما لم يفعل شيئاً، وهو
يقول :

- عشر ثوان فحصب .

صرخ (ليو) :

- ما الذى تريد معرفته ؟

سأله (موشى) فى برود :

- لحساب من تعمل .

أجابه (ليو) فى ألم رهيب :

- إنها منظمة جديدة، تحمل اسم (سناك) .. أنا مخطئ

لأننى تعاونت معهم، ولكن ..

قاطعه (موشى) :

- ومن يدير هذه المنظمة ؟ المصريون أم السوفييت،

أم الأمريكيون ؟

هتف (ليو) :

- بل هى منظمة خاصة .

عقد (موشى) حاجبيه، وهو يقول :

- منظمة جاسوسية خاصة ؟ .. ومن يرأسها ؟

انهار (ليو) مع آلامه المفطرة، وهو يجيب :

- لست أدرى .. لقد حضر إلى رجل أمريكى الجنسية،

من أصل فرنسى أو إيطالى، اسمه (تونى بورسالىنو)،

وقال : إن (سونيا) طلبت منه الاتصال بى .

سأله (موشى) :

- (سونيا) من ؟

أجاب (ليو) ، وصوته يخفت تدريجياً ، وكأنه يوشك على فقدان الوعي :

- (سونيا جراهام) .. زميلتنا السابقة .. هى التى طلبت منه هذا ، و ...

قطع عبارته ليصرخ فجأة :

- (موشى) .. إننى أموت .. أنقذنى يا صديقى .. تذكر الأيام الخوالى .. تذكر أعمالنا معاً ، وصادقتنا ، و ...

ولكن (موشى) لكمه فى أنفه فى قوة ، وهو يقول فى قسوة !

- لا تضيع الوقت .. أبلغنى كل مالدك .

هتف (ليو) :

- هذا كل مالدى يا (موشى) .. أقسم لك .. لقد أغرائى المبلغ الضخم ، وكانت (سونيا) تملك بعض ما يديننى ، ولم يكن أمامى سوى أن أفعل ما فعلت .. أنقذنى يا صديقى .. أرجوك .. خفف عنى هذه الآلام الرهيبة .

صمت (موشى) لحظة ، سألته فى برود :

- أهذا حقاً كل ما تعرفه ؟

هتف (ليو) فى انهيار :

- بالتأكيد يا (موشى) .. أقسم لك على هذا بروح أبائى وأجدادى ، ولكن خفف عنى هذه الآلام المبرحة .. أرجوك . بدت على شفتى (موشى) ابتسامة مخيفة ، وهو يقول :

- بالطبع يا صديقى القديم .. سأخفف آلامك الرهيبة على الفور ، وبدواء لا يفشل قط .

فهم (ليو) ما يعنيه (موشى) ، فصرخ :

- لا .. لا يا (موشى) .

ولكن (موشى) ضغط زناب مسدسه فى هدوء ..

وانفجرت رأس (ليو) كمصباح قديم ..

وفى هدوء عجيب ، أعاد (موشى) مسدسه إلى جيبه ، وعذل رباط عنقه ، وهو يقول :

- إنه خطوك يا صديقى .. لماذا جعلت جدران منزلك عازلة للصوت .

وبنفس الهدوء المدهش ، وبدقة متناهية ، فُتِش (موشى) كل شبر من منزل (ليو) ، قبل أن يغادره فى بساطة ، عائداً إلى إدارة المخابرات الإسرائيلية ، دون أن يدرك أن تلك المنظمة ، التى كشف وجودها منذ دقائق ، ستقوده إلى قتال تقليدى عنيف ورهيب ، مع أعنف وأقوى خصومه ، فى التاريخ كله ..

مع (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

★ ★ ★

كانت البداية عندما أسند مدير المخابرات العامة المصرية إلى (أدهم صبرى) ، و (منى توفيق) و (حسام حمدي) مهمة كشف وتدمير منظمة التجسس الجديدة، التي ظهرت في العالم، تحت اسم (سناك) ، دون أن يدري أحدهم أن الزعيمة الخفية لتلك المنظمة الجديدة هي أفعى (الموساد) السابقة (سونيا جراهام) ، التي قرأت إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وحملت اسم (جوان آرثر) ، صاحبة شركة الإلكترونيات الكبرى في (نيويورك) .. وكإجراء مدروس ، انطلق كل من أفراد الفريق الجديد إلى هدف محدود ..

(منى) انطلقت إلى (إيطاليا) ..

و (حسام) إلى (أمريكا) ..

و (أدهم) إلى (انجلترا) ..

وفي الوقت ذاته ، كانت (سونيا جراهام) تعد خطة رهيبة ، لإعلان قيام منظماتها الجديدة ، تعتمد على سرقة خمسة رؤوس نووية من (الاتحاد السوفيتي) السابق ، ووضعها في أكبر خمس عواصم في العالم ، كوسيلة للسيطرة على الحكومات ، وتهديدها بالقضاء ، لو خالفت أوامرها ..

وسافرت (منى) إلى (إيطاليا) ، ولكنها تعرضت لمخاطر شتى ، ومحاولة قتل ، ورطبتها مع الشرطة الإيطالية ، وألقي القبض عليها ، وحاول أحد رجال الشرطة المرتشين قتلها ، ولكنها فرت بمساعدة الملحق العسكري المصري ، وطاردهما رجال الشرطة الزائفون في إصرار ، حتى وجدا نفسيهما أمام سيارة (فان) هائلة ، تعترض طريقهما ..

ولم يكن هناك مفر من الاصطدام ..

أما (حسام) ، فقد سافر إلى (أمريكا) ، وأجبر مسئول شركة الهاتف على البوح ببعض ما لديه ، ولكنه لم يستطع ذكر اسم (سونيا) ، لأن أحد حراس الشركة قتله عمداً .. ونجح (حسام) في الفرار من الشركة ، ومن مطاردة الشرطة الأمريكية ، ثم عاد إلى حارس الشركة ، وكاد ينتزع منه المعلومات التي يطلبها ، لولا أن هاجمه بعض الرجال فجأة ، وأفقدوه الوعي ، ثم ألقت الشرطة القبض عليه ، وفي أثناء التحقيق معه ، نس له الملازم (جونز) سم (السيانيد) في شرابه ..

وجرع (حسام) الشراب كله ..

وسرى السم في جسده ..

وفي (اتجلترا) ، كان (أدهم) يواجه واحدًا من أقوى رجال (سونيا جراهام) ..

سير (لاتسلوت) .. رجل المخابرات البريطاني السابق ، والمغامر الحالي ، الذى كشف أمر (أدهم) ، وألقاه طعامًا لتمساحه الرهيب (كروكى) ..

ولكن (أدهم) نجا بمعجزة ، والتقى بسير (لاتسلوت) مرة أخرى ، فى شخصية جديدة ، نجحت فى خداع (لاتسلوت) بعض الوقت ، إلا أنه لم يلبث أن كشف أمر (أدهم) وأعد له فخًا مبتكرًا ، بمعاونة خادمه وحارسه الشخصى (مور) ، حيث وضع أمامه كرة من كرات الجولف ، تحوى (النيتروجلسرين) ..

ووسط الأشجار ، رأى (لاتسلوت) (أدهم) يضرب كرة الجولف .. ودوى الانفجار الرهيب (*) ..

★ ★ ★

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزءين الأول والثانى ، (الصقر الأعشى) ، و (القصاص) .. المغامرتين رقمى (٩٧) ، و (٩٨) .

٢ - الحادث ..

لم يكن هناك مفرٌ حَقًا من الاصطدام ، فالملاحق العسكرى المصرى ينطلق بأقصى سرعة بالفعل ، وإلى جواره (منى) ، و (الفان) الضخمة تسد الطريق كله ، وتعرضهما بجانبها الهائل ، الذى بدا كجدار شيطانى رهيب .

وبكل ما يملك من قوة ، وفى بأس كامل ، انحرف الملاحق العسكرى بالسيارة ، و (منى) تصرخ فى ارتياح : - احترس .

ولكن السيارة مالت إلى اليمين ، على نحو بالغ الخطورة ، ولكن مناورتها المحدودة هذه لم تتجح فى إنقاذها ، فأطلقت إطاراتها صريرًا مخيفًا ، وهى تزحف بسرعة رهيبية نحو (الفان) ، و ...

وحدث الاصطدام ..

ومع صرخة (منى) المتصلة ، التى يمتزج فيها الرعب بالألم والارتياح ، ضربت السيارة جانب (الفان) فى عنف ، وتحطم جانبها الأيسر كله ، ثم انقلبت على جانبها الأيمن ، وزحفت لستة أمتار كاملة ، قبل أن تصطدم بجانب الطريق ، وتشتعل النيران فى مؤخرتها على نحو مخيف ..

وعلى بعد أمتار قليلة، قهقه (ماريو) ضاحكا، في
سخرية وشماتة، داخل سيارة الشرطة الزائفة، وهو
يقول :

- أرايت يا صديقى .. هذا هو ما أعدته لهم فرقتنا .. فغ
أنيق، يصنع في لحظة واحدة، مانسعى نحن لتنفيذه.
تطلع زميله (كارلو) إلى السيارة، التى اندلعت النيران
فى مؤخرتها، وهو يقول فى قلق :
- أعتقد أنهما لقيا حتفهما .

أشار (ماريو) إلى النيران، وقال ساخرا :
- ما رأيك أنت ؟

تطلع (كارلو) بضع لحظات إلى النيران بدوره، ثم قال
فى حسم :
- لا بد وأن نتأكد .

وفتح باب السيارة، وهو ينتزع مسدسه، واتجه نحو
السيارة نصف المشتعلة فى حذر، فى حين أشعل (ماريو)
سيجارته فى استهتار، وهو يقول :
- احترس يا رجل .. ستفجر تلك السيارة بعد ست
دقائق على الأكثر .

لوح (كارلو) بيده اليسرى فى ضجر، وانحنى يتطلع
فى حذر، عبر الزجاج الأمامى نصف المحطم، لسيارة
الملحق العسكرى المصرى ..

كان من الواضح، من النظرة الأولى، أن الملحق
العسكرى الشاب قد لقي مصرعه، فقد تهشمت جمجمته
على نحو بشع، فى حين استلقت (منى) مغمضة العينين،
والدماء تسيل من جرح فى جبهتها ..

وضاقت حدقتا (كارلو)، وهو يتأمل (منى) فى حذر،
ثم رفع فوهة مسدسه نحوها، وهو يتمتم :
- لن يضيرها أن تتلقى رصاصة ثانية فى جبهتها .

ولكن فجأة، اعتدلت (منى)، ورفعت يدها الممسكة
بمفتاح من الصلب، من الأدوات التى تستخدم لإصلاح
السيارة، وألقته بكل قوتها نحو (كارلو) ..
وتراجع (كارلو) مع المفاجأة، وهو يهتف :
- اللعة .. إنها ..

ولكن الأداة الثقيلة ارتطمت بوجهه، وأخرسته قبل أن
يتم عبارته، فختمها بصرخة ألم، وهو يسقط أرضا،
فاتسعت عينا (ماريو)، وهو يهتف بدوره ذاهلا :
- يا للشيطان !

لم يكد يتم كلمته، حتى رأى (منى) تثب فى رشاقة،
عبر الزجاج المحطم، وتركل (كارلو) بكل قوتها فى
معدته، ثم تثب لتركله مرة أخرى فى أنفه ..

ومع سقوط (كارلو) أرضاً، قفز (ماريو) خارج
المسيارة، وانتزع مسدسه، صارخاً في ثورة :
- أيتها اللعينة .

وأطلق رصاصاته نحو (منى) في غضب، ولكنها
ارتدت أرضاً، والتقطت المسدس الذى سقط من (كارلو)،
وتدحرجت فى مهارة، متفادية سيل الرصاصات، وراحت
تمطر (ماريو) برصاصاتها أيضاً ..
وكانت مفاجأة مدهشة لرجل (المافيا) ..
لقد كشف، فى هذه اللحظة فقط، أنه يقاتل محترفاً،
لا يشقى لها غبار ..

كانت رصاصاتها تصيب ما حوله، على نحو يمنعه من
إبراز رأسه ومواجهتها، فغمغم ساخطاً :
- ألف لعنة .

ومذ أصابعه المرتجفة، يلتقط بوق اللاسلكى، وهو
يهتف :

- أنا (ماريو) .. أجب .. أجب عليك اللعنة .

أتاه صوت يسأل فى اهتمام :

- أين أنت يا (ماريو)؟ وماذا حدث؟ .. هل انتهت
المهمة ؟

صرخ (ماريو) :



لم يكذبتم كلمته، حتى رأى (منى) ثقب فى وشاقة، عبر الزجاج
الخطم، وتركل (كارلو) بكل قوتها فى معدته ..

* - لم ينته أى شيء .. لقد نجت تلك اللعينة ، على الرغم من إصاباتها ، وهى تطلق النار على كالمطر .. ألا تسمع صوت الرصاصات ؟!

أتاه صوت محدثه مفعماً بالدهشة ، وهو يقول :
- أية رصاصات ؟!

تراجع رأس (ماريو) فى حدة ، وقد انتبه ، فى هذه اللحظة فقط ، إلى أن رصاصات (منى) قد توقفت بالفعل ، فهتف وهو يستدير إلى حيث كانت تقف :
- اللعنة ، أين ذهبت تلك العا... ؟

قبل أن يتم عبارته ، كانت (منى) تثب فوقه ، من سطح سيارته ، وتركل مسدسه بعيداً ، وهى تقول :
- هنا أيتها الوغد .

سقط (ماريو) أرضاً ، ثم هب واقفاً على قدميه بسرعة ، وانتزع من ساقه سكيناً ضخماً ، وهو يصرخ ..
- لن تهزم فتاة (ماريو) .

قفزت (منى) تركل السكين فى مهارة ، وهى تقول :
- أهذا رأيك النهائي ؟

صرخ مع ضياع سكينه ، وهو ينقض على (منى) كوحش مفترس :

- لا .. لن أسمح بهذا .

وفى نفس اللحظة التى انتهت فيها من صرخته ، دوى انفجاران ..

انفجار سيارة الملحق العسكرى المصرى ، وانفجار قبضة (منى) فى أنف (ماريو) ..

وجحظت عينا (ماريو) ، فى مزيج من الدهشة والألم ، ولكن (منى) أعقبت نكمتها بأخرى أشد عنفاً ، فى الموضع نفسه ، فهوى (ماريو) فاقد الوعى ، ووقفت هى تلهث ، من فرط ما بذلت من عنف ، وغمغمت :

- ها هى ذى فتاة مصرية تهزمك أيتها الحقيير .
وانحنى تلتقط مسدسه ، ثم احتلت مقعد القيادة ، فى سيارة الشرطة الزائفة ، فى نفس اللحظة التى انبعث فيها صوت متوتر ، عبر جهاز اللاسلكى ، يهتف :

- (ماريو) .. أين أنت .. ماذا حدث ؟
التقطت (منى) بوق الجهاز ، وقالت فى سخرية متمزج بما تشعر به من ألم :

- لقد انتهت رجلكم أيتها الوغد .. لم يعد قادراً على الرد .

هتف الرجل فى ذهول :
- ماذا ؟ .. أهو أنت ؟ .. كيف نجوت من الحادث ؟
أجابته فى حدة :

- الفضل لله (سبحانه وتعالى) .. ولحزام الأمان
القوى ، ومبادرة صديقي المسكين ، الذى ضحى بحياته ،
وتلقى الصدمة كلها بدلًا منى .

صاح الصوت ، وهى تدوير محرك السيارة :
- لن نفلتى منا .. إنها ليست نهاية المطاف ، مازال
لدينا الـ ...

أخرسته وهى تقطع سلك البوق ، ولقى به من النافذة ،
وتوقفت لحظة ، اغرورقت خلالها عينها بالدموع ، وهى
تلقى نظرة على السيارة المحترقة ، متمتعة فى مرارة الألم :
- وداعًا يا صديقى .. لقد كنت عظيمًا ، حتى اللحظة
الأخيرة .

وانطلقت بالسيارة ، لتكمل طريقها إلى المطار ..
وفى أعماقها ، كان كل شيء يرتجف ..
صحيح أنها نجت من الحادث ، ولم تلق مصرعها فيه ،
ولكنها أيضًا لم تخرج منه سالمة ..

إنها تشعر بالآلام مبرحة ، فى كل عظمة من عظام
جسدها المرهق ، والدماء تسيل من جرح جبهتها ، لتفرق
جانب وجهها ، وجزء كبير من شعرها المصبوغ ..

وبطبيعة أنثوية فطرية ، ألقت نظرة على وجهها ، فى
مراة السيارة ، وزفرت فى عصبية ، وهى تمسح الدم
بأصابعها ، مغمضة :

- يا للسخافة !.. من حسن الحظ أن (أدهم) لا يشاركنى
هذا الجزء من العملية ، ورأى فى هذه الحالة المزرية .
زفرت مرة أخرى فى توتر ، وزادت من سرعة
السيارة ، حتى لاح لها المطار من بعيد ، فهتفت فى
ارتياح :
- أخيرًا .

وما إن لمحت أول هاتف عام ، حتى أوقفت السيارة إلى
جواره ، وهبطت منها تلتقط سماعة الهاتف ، وتطلب رقم
السفارة المصرية فى (روما) ، ولم تكد تسمع صوت
محدثها ، حتى قالت بسرعة وتوتر :

- صباح الخير يا سيدى السفير .. آسفة للاتصال بك
فى هذه الساعة المتأخرة ، ولكن الأمر عاجل بالفعل .. أنا
الرائد (منى توفيق) ، أتحدث إليك من المطار .. نعم .. من
المخابرات المصرية .. لدى أخبار مؤسفة يا سيدى ..
الرجل الذى أتيت من أجله يعمل لحساب (المافيا) ، ولقد
طاردونا فى شراسة ، وتسببوا فى مصرع الملحق
العسكرى .. نعم يا سيادة السفير .. إنك لم تخطئ السمع
لقد استشهد ملحقنا العسكرى ، ونجوت أنا بأعجوبة ،
وما زالت الأمور ..

قاطعها فجأة صوت صارم غاضب ، يقول فى حدة :

- عجباً! ما الذى لدينا هنا؟.. أليس تفسير منطقي
ياسنيوريتا؟

استدارت إلى مصدر الصوت بسرعة، مصوِّبة
مسنسها إلى صاحبه فى عصبية، ورأت أمامها رجلاً فى
أوائل الخمسينات من عمره، أصلع الرأس، أشيب
الفودين، ضخم الجثة، تطلع إلى مسنسها بغضب أكثر،
وهو يتابع:

- ما هذا بالضبط؟.. أتجربين على تصويب مسندك
إلى مفتش شرطة؟!
قالت فى حذر:

- ومن أدرانى أنك رجل شرطة حقيقى؟
أخرج شارة الشرطة من جيبه، وهو يقول فى
عصبية:

- أتكفى هذه؟.. البطاقة الموجودة تشير إلى أننى
المفتش (روسكوتيس).
تطلعت إلى الشارة لحظات فى إمعان، ثم خلفت
مسنسها، مغفمة:

- إلى حد ما.
مط شفتيه، وعقد ساعديه أمام صدره، وهو يقول
فى حزم:

- الآن، وبعد أن انتهيت من استجوابى، والتأكد من
هويتى، حان دورى لتوجيه الأسئلة.. أخبرينى بالله
عليك.. من أنت؟ وما سر إصابتك؟.. وكيف اتفق أنك
تركيبين واحدة من سيارات الشرطة؟
أشارت إلى السيارة، قائلة:

- إنها ليست سيارة حقيقية.
فقر قاه فى دهشة، قبل أن يقول:

- ما الذى يعنيه هذا؟
همت بإجابته، لولا أن ارتفع من الهاتف صوت
السفير، يصيح فى قلق:

- هل تسمعينى أيتها الرائد؟.. أين أنت؟
رفعت سماعة الهاتف إلى أذنيها، وهى تقول:

- أنا هنا ياسيادة السفير.. لقد التقيت بـ..
فوجئت بالمفتش (روسكو) يختطف منها السماعة،
وينهى المحادثة بحركة عنيفة، وهو يقول:

- هذا يكفى.
انقبضت قبضتها فى تحفز، وهى تقول:

- ما هذا بالضبط؟
قال فى حدة:

- إنك تتحدثين بلغة أجهلها، بحوار أجهل فحواه، مع
رجل أجهل هويته، فما الذى تتوقعين منى فعله؟

تطلعت إليه لحظات فى غضب متحفز ، ثم لم تلبث أن
تمالكت أعصابها ، وقالت :

- فليكن .. دعنا ننهى هذا الأمر السخيف بسرعة .

هتف :

- عظيم .. ما زلت أنتظر جواباً لأسئلتى .

عقدت ساعديها أمام صدرها بدورها ، وهى تقول :

- فى هذه الحالة سيطول انتظارك كثيراً ؛ لأننى لن

أجيب أى سؤال .

صاح محنفاً :

- هكذا؟! .. فليكن .. سألقى القبض عليك إذن ، مع

قائمة طويلة من الاتهامات .. سرقة سيارة شرطة ، وحمل

سلاح بدون ترخيص ، و ...

قاطعه فى صرامة :

- إننى أحمل جواز سفر دبلوماسياً .

التقى حاجباه فى شدة ، وهو يحدق فيها فى غضب ، ثم

قال فى حدة :

- هذا لا يمنحك حق حمل سلاح بدون ترخيص ..

أعطينى هذا السلاح فوراً .

ناولته المسدس ، قائلة فى لهجة تحمل رنة ساخرة :

- ها هو ذا .. لقد فرغت رصاصاته كلها .

أدهشها ذلك الارتياح العارم ، الذى ملأ ملامحه ، وتلك
الابتسامة الساخرة ، التى ظهرت على طرف شفتيه ،
فهتفت والشك يعصف بها :

- أنت رجل شرطة حقيقى ؟

أجابها بلهجة عجيبة :

- بكل تأكيد .

ثم برقت عيناه مع استطرادته :

- ولكننى أعمل لحساب العائلة .

فهتت على الفور ما يعنيه ، وتراجعت بسرعة ، وهى

تهتف :

- أيها الحقير .

ومع آخر حروف هتافها ، برز رجال (المافيا) من خلف

سيارة (روسكو) وانقضوا عليها وهم يبتسمون فى

سخرة وشماتة ..

كانوا سبعة من الرجال الأقوياء الأشداء ، يحمل كل

منهم هراوة قصيرة ، ووجوههم تحمل كل وحشية الدنيا

وشراستها ، ومن خلفهم هتف صوت مألوف :

- أريدها حية .. من الواضح أن لديها الكثير لتخبرنا به .

صاحت (منى) ، وهى تنقض بدورها :

٣ - القتلة ..

تعلقت عينا المفتش (جونز) ، فى قلق واضح ، بذلك القدر ، الذى جرعه (حسام) حتى آخره ، بكل ما يحويه من مادة (السيانيد) السامة ، فابتسم هذا الأخير فى سخرية ، وهو يضع القدر على المائدة ، قائلاً :

- ماذا أصابك يا هذا ؟.. أهى أول مرة تشاهد فيها رجلاً يشرب ، أم أنك تجمع صور المتهمين الجدد ، وتصفها فى .. احتقن وجهه فجأة ، قبل أن يتم عبارته ، وأمسك معدته ، صارخاً :

- يا إلهى !.. الألم رهيب .

سرت قشعريرة باردة فى جسد (جونز) ، وتراجع فى حركة حادة ، وهو يحنق فى (حسام) ، وقد أصابه انفعال جارف ، فى حين قفز زميله من مقعده ، هاتفاً فى هلع :

- ما .. ماذا حدث ؟

صاح (حسام) ، وهو يتلوى من ألم شديد :

- أمعانى تتمزق ، وحلقى جاف ، ونيران مشتعلة فى صدرى .

ازدرد (جونز) لعابه فى صعوبة ، وتعمم :

- ألم أحذركم ؟.. لقد انتحر .

تطلع إليه زميله فى ذعر ، فى حين هتف (حسام) :

- جميل منك أن أوضحت .

لكمت أحد الرجال فى أنفه ، بكل ما تملك من قوة ، وتغادرت ضربة عنيفة من هراوة الثانى ، وركلت الثالث بين ساقيه ، وقفزت لتتجاوز ضربة الرابع ، ولكنها شعرت بضربة قوية على مؤخرة عنقها ، ودار رأسها فى عنف ، وصرخت بكل قوتها :

- (أدهم) .. أين أنت ؟

ولكن صرختها هذه لم تتجاوز حلقها ، والدنيا تظلم من حولها ، وهى تسقط فى هوة عميقة .. عميقة ..

وبلا قرار .

★ ★ ★





في حين تطلع (جونز) إلى (حسام) لحظة ثم غمغم :
— لا فائدة .. لن تنجو هذه المرة ..

- الزجاجة .. أعطونا الزجاجة .
سأله رجل الشرطة في توتر :
- أية زجاجة ؟

قال (حسام) ، وهو يتلو في شدة :
- زجاجة الدواء ، التي كنت أحمّلها .. إنها ليست
عظرا .. أحضرها أرجوك .
اندفع الرجل خارج الحجرة ، لإحضار الزجاجة ، التي تم
التحفظ عليها ، عند إلقاء القبض على (حسام) ، في حين
تطلع (جونز) إلى (حسام) لحظة ، ثم غمغم :
- لا فائدة .. لن تنجو هذه المرة .
تطلع إليه (حسام) في تهالك ، وهو يسقط فوق
المائدة ، فاستطرد (جونز) في تشف :
- إنه (السيانيد) .. أسرع سم في العالم كما أخبروني ..
لقد انتهت حياتك يا صاح ، ولن يسعفك ذلك الدواء الذي ..
اتسعت عيناه بغثة في ذهول وهلع ، عندما استعاد
(حسام) نشاطه كله دفعة واحدة ، وانقض عليه بحركة
مفاجئة ، ودفعه إلى الجدار ، قائلا :
- هكذا إذن !

حاول (جونز) أن يلتقط مسدسه ، ولكن (حسام)
عاجلة بلكمة كالقنبلة في فكه ، وأخرى ساحقة في معدته ،
ثم انتزع منه مسدسه ، وألصقه بعنقه ، قائلا :

- إذن فقد رشوك لتقتلنى .. عظيم .. أخبرنى إذن من اتصل بك ؟ .. أهو ذلك المدعو (تونى بورسالينو) ؟
ارتجف (جونز) ، من قمة رأسه ، حتى أخمص قدميه ، وهو يمسح خيط الدم ، الذى سال من طرف شفثيه ، ويقول منهازا :

- ولكن كيف ؟ .. كيف نجوت من (السيانيد) السام ..
لقد رأيتك تشربه بنفسى .

أجابه (حسام) فى سخرية :
- لو أنك درست شيئا من علم السموم ، لعرفت الجواب بنفسك يا رجل .. هل تذكر أننى تناولت منذ فترة قرصا من تلك الأقراص ، التى تمنع إفرازات حامض (الهيدروكلوريك) (*)
فى المعدة ، وقلت : إننى أتناولها باستمرار .. هذا هو الجواب يا استاذ الأغبياء ، ابحث عنه فى كتب السموم ، أو فى تاريخ حياة (راسبوتين) (**).

(*) حمض الهيدروكلوريك : يعرف أيضا باسم (المبورياتيك) ، وهو المحلول المائى لكلوريد الهيدروجين ، وهو حمض قوى ، له أهمية تجارية كبيرة ، ويتفاعل مع أغلب الفلزات ، وتفرزه المعدة بصورة طبيعية ، ليعضم المواد الغذائية داخلها ، وله استخدامات أخرى فى الطب وتنظيف المعادن .

(**) راسبوتين : زاهب روسى ، وشخصية داعرة ، التصق ببلاط (نيقولا الثانى) ، وكان فلاحا أميا ، سيطر على القيصر والقيصرة ، عن طريق شعوزات وأفعال خارقة للطبيعة ، ولعلاجه ولى العهد ، المصاب بنزيف الدم (ألهموفيليا) ، وقد اغتاله فريق من النبلاء ، بزعمامة الأمير (بوسوبوف) .

غمغم (جونز) فى دهشة مذعورة :
- (راسبوتين) ؟ !
قال (حسام) ساخرا :
- نعم .. هو أيضا حاولوا اغتياله بسم (السيانيد) ، وفشلت المحاولة .

مع آخر حروف كلماته ، وصل مفتش الشرطة الآخر ، وهو يحمل الزجاجة ، ولم يكذب (حسام) ، وهو يلصق زميله بالجدار ، حتى انتزع مسدسه ، هاتفا :
- اللعنة ! .. كانت خدعة .

انحنى (حسام) بسرعة مذهشة ، متفاديا رصاصه المفتش ، ثم وثب نحوه كالفهد ، وركل مسدسه فى مهارة ، ثم كال له ثلاث لكمات سريعة ، اختطف بعدها الزجاجة من يده ، قبل أن تسقط أرضا ، وهو يقول :

- انتبه يا رجل .. لو سقطت هذه ، ستكون نهايتنا جميعا .

اندفع (جونز) نحوه من الخلف ، مستغلا انشغاله بالتقاط الزجاجة ، ولكن (حسام) لمح به بطرف عينه ، فدار حول نفسه فى رشاقة ، ولكمه لكمة كالصاعقة ، فى أنفه مباشرة ، أسقطته فاقد الوعي ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها رجال الشرطة نحو حجرة التحقيقات ، مع الهرج الحادث فيها ..

وأصبح على (حسام) أن يواجه رجال الشرطة مرة أخرى .

وكانت هذه المرة تختلف كثيرًا عن سابقتها ..

كانت في عقر دارهم ..

ولم يضع (حسام) لحظة واحدة ..

لقد انتزع غطاء زجاجة العطر الزائفة ، وأفرغ محتواها في حرص ، على سطح المنضدة الصغيرة في حجرة التحقيقات ..

كانت للسائل الزيتي القوام داخلها رائحة عطرية واضحة ، ولكنه كان يخفى داخله أربع كرات صغيرة من الزجاج ، تحوى سائلًا آخر ، له نفس اللون ، التقطها (حسام) في حذر ، في نفس اللحظة التي وصل فيها رجال الشرطة إلى بداية الردهة ، التي تقود إلى الحجرة .. وبسرعة مذهشة ، ألقى (حسام) واحدة من الكرات الأربع نحوهم ..

ودوى انفجار محدود ..

انفجار أطاح بأحد رجال الشرطة ، وأجبر الباقيين على التراجع ، في حين وثب (حسام) خارج الحجرة ، وهو يطلق رصاصات مسدسه في غزارة ..

وكانت مفاجأة مذهلة لإدارة الشرطة كلها ..

مفاجأة أصابت العديدين بالشلل ، وأجبرت الآخرين على التراجع ، مع انفجار الكرة الثانية ، والرصاصات المصاحبة لها ، و (حسام) يشق طريقه في بسالة عجيبة نحو الأبواب الخارجية ..

وفي حجرة المفتش (جونز) ، هب (تونى) واقفًا ، وهو يعقد حاجبيه في شدة ، هاتفًا في عصبية :

- ما الذى يعنيه هذا ؟

كان قد فُكر فى الانصراف ، بعد أن أعطى السم للمفتش (جونز) ، إلا أنه لم يلبث أن قرّر البقاء ، ليتأكد بنفسه من النتيجة ..

وها هى ذى مفاجأة جديدة تواجهه ..

وعلى الرغم من صعوبة الموقف ودقته ، اندفع (تونى) يغادر الحجرة ، وراح يعدو نحو حجرة التحقيقات ، على عكس اتجاه الحركة العام فى المكان كله ..

ومع دوى الانفجار الثالث ، عند باب الإدارة الرئيسى ، كان (تونى) قد بلغ الحجرة ، ورأى (جونز) ، الذى يستعيد وعيه متلنخًا ، فانقضض عليه ، وجذبه من سترته فى عنف ، هاتفًا :

- ماذا حدث ؟

أجابه (جونز) فى إعياء :

- لقد هرب ذلك الشيطان .

صاح (تونى) فى جنون :

- هرب ؟! وكيف سمحت له بهذا ؟! لماذا لم تكس له السم كما أمرتك .

قال (جونز) فى انهيار :

- لقد فعلت يا مستر (بورسالىنو) .. أقسم لك أننى فعلت .. بل رأيته يشربه بنفسى ، ولكنه لم يتأثر به قط .

احتقن وجه (تونى) ، وهو يهزه فى عنف ، هاتفا :

- مستحيل !.. كيف يحدث هذا ؟

هز (جونز) رأسه ، وقال :

- لست أدرى .. أقسم لك أن هذا يكاد يصيبنى بالجنون

يا مستر (بورسالىنو) لقد شرب ذلك الشيطان القدر كله ، ثم هب واقفا فى نشاط ، وذكر شيئا عن (راسبوتين) .

عقد (تونى) حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

- (راسبوتين) ؟!

هتف (جونز) :

- لست أدرى ما يعنيه هذا يا مستر (بورسالىنو) ..

أقسم لك ..

دفعه (تونى) فى عصبية ، ونهض معقود الحاجبين ، وعقله يتساعل فى شدة ..

- نعم .. ما الذى يعنيه هذا ؟!

ما الذى يعنيه ؟!

أما (حسام) نفسه ، فقد شق طريقه إلى الخارج بكل عنف وقوة ، وتبادل إطلاق النيران مع عشرات من رجال الشرطة الأمريكيين ، وشعر برصاصة تخترق ذراعه اليسرى ، وأخرى تغوص فى فخذه اليمنى ، ولكنه لم يتوقف ، بل واصل طريقه حتى ساحة السيارات ، حيث ألقى قنبلته الأخيرة ، وهو يشب داخل سيارة قوية ، وينطلق بها مبتعدا ..

وصرخ مدير إدارة الشرطة فى غضب :

- إنه يهرب .. الحقوا به .. أمسكوه .

ومع صرخته ، علم رجال الشرطة أنفسهم ، واندفعوا إلى سياراتهم ، ولكنهم كشفوا عندئذ أن قنبلته (حسام) الرابعة والأخيرة قد انفجرت وسط السيارات ، وأتلفت معظمها ..

ولكن السيارات الثلاث المتبقية انطلقت لتطارده (حسام) فى غضب ..

ولم تستمر المطاردة طويلا ..

صحيح أنهم عثروا على السيارة ، التى فر بها ، ولكن ..

لم يكن هناك أثر لـ (حسام) ..

ولأننى أثر ..

★ ★ ★

كان (حسام) يعرف قواعد اللعبة جيدًا هذه المرة ..
لقد قاتل رجال الشرطة الأمريكيين في عقر دارهم ،
وهزمهم وحطم غرورهم ، ونجح في الفرار منهم ..
ولن يمكنهم احتمال هذا قط ..
إتهم سيطاردونه بكل قوتهم ، وكل طاقاتهم
وإمكاناتهم ..

سيطاردونه بكل ذرة غضب في أعماقهم ، حتى يظفروا
به ، أو يهلكوا دونه ..

ولهذا لم يواصل الفرار بتلك السيارة طويلاً ..
لقد استخدمها فقط للابتعاد عن منطقة القتال ، بأقصى
مسافة ممكنة . وهذا يعني مائتى متر على الأكثر ، في
مدينة شديدة الازدحام مثل (نيويورك) ..
وفي شارع جانبي مقفر ، تخلى عن السيارة ، واحتمل
آلام فخذه ، وهو يعدو مبتعداً عنها ، من شارع إلى
شارع ..

وأخيراً بلغ منطقة أخرى ، فتوقف لاهثاً ، واستند إلى
جدار قديم ، يلتهم بعض الراحة ، ويلتقط أنفاسه
المرهقة ..

وفجأة ، ارتفع صوت خشن جاف . يقول :
- هل يروق لك المكان يا صاح ؟

التفت (حسام) إلى مصدر الصوت ، ورأى أمامه رجلين
ضخمى الجثة ، ينظران إليه في استخفاف شرير ، وهما
يعبثان بمديتين حادتين ، فتطلع إليهما بنظرة خاوية ، وهما
يقتربان منه ، وسمع أحدهما يقول :

- أراهن أنك تحمل بعض المال .. أليس كذلك ؟

قال (حسام) فى هدوء :

- بلى .. إننى أحمل الكثير منه .

رفع أحدهما حاجبيه فى دهشة ، لهذا الجواب المباشر
الصريح ، فى حين أطلق الآخر صفيراً طويلاً ، قبل أن
يهتف فى سخرية :

- لا تجعل هذا يقلقك يا رجل .. سنخلصك من حملك هذا
فى لحظات قصار .

واقتربا منه أكثر ، ودفع أحدهما مديته إلى عنقه ، فى
حين قال الثانى ، وهو ينحنى ليفتش جيوبه :

- ولكنك مصاب !.. ماذا حدث بالضبط ؟.. هل حاول
الزملاء سلبك مالنا ؟

أجابه (حسام) :

- نعم .. ولكنهم تراجعوا ، بعد أن فعلت بهم ما فعلت .
قال الذى يلصق المدية بعنقه فى سخرية :

- وما الذى فعلته يا (سوبرمان) ؟

قال (حسام) فى حزم :

- هكذا .

ومع قوله ، ارتفعت يده اليسرى تقبض على معصم الرجل ، وتزيح المنيعة عن عنقه ، فى نفس اللحظة التى أبرز فيها يده اليمنى من خلفه ، وهى تمسك بمسند الشرطى ، وأمالها فى حركة سريعة ، وأطلق رصاصة على قدم اللص ، الذى أطلق صرخة ألم رهيبية ، فى حين هتف زميله :

- ما هذا ؟

رفع (حسام) يده فى سرعة ، وهوى على فك اللص الآخر بكعب المسند ، قائلاً :

- إنها رصاصة .. أنديك اعتراض ؟

سقط الرجل أرضاً فى عنف ، كجوال ممتلئ بالفحم ، فى حين صرخ زميله ، وهو يحاول منع الدماء ، التى تتدفق من جرح قدمه فى غزارة :

- لن نفعل شيئاً .. إننا نستسلم .

لكمه (حسام) فى أنفه ، قائلاً :

- ولماذا تفقد متعتى يا هذا ؟ .. إننى أهوى قتل الأوغاد

فى العشاء .

هَبَ الساقط واقفاً ، وانطلق يعدو هاتفاً :

- هذا لو وجنتهم أمامك .

أما زميله المصاب ، فراح يحجل بقدم واحدة ، صارخاً :

- انتظرنى أيها الحقيير .. لا تتركنى وحدى .

تنفس (حسام) الصعداء عندما ابتعدا ، وأمسك معدته

فى ألم ، وهو يفكر فيما حدث فى قسم الشرطة ..

لقد لاحظ اهتمام (سونيا جراهام) الشديد بالقدر الذى

قدمه له ، واستنتج من هذا أنه من نوعاً من السم فيه ،

ولكنه لم ينتبه إلى هذا إلا بعد أن شرب محتويات القدر كله

بالفعل ..

ولم يشعر بأثر السم ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد تظاهر بالإصابة ، ليمسح

اعتراف المفتش المرتشى ، قبل أن ينقض عليه ..

ومما سمعه ، أدرك لماذا لم يقتله (السياتيد) ، على

الرغم من قوته وخطورته ..

وعاودته ثقته ..

ونجح فى الفرار ..

أما الآن ، فهو يشعر بالقلق ..

لقد مر بفترة توتر عنيفة ، ستؤدى حتماً إلى آلام معدته

العصبية ، ودفعها إلى إفراز بعض أحماضها التى تؤلمه

أكثر وأكثر ..



اندفع يغادر ذلك الشارع الضيق ، ولكن الدوار الذى أحاط به
تضاعف أكثر وأكثر ..

بل لن تكتفى بإيلامه هذه المرة ..
إنها ستقتله ..

ستقتله حتماً ، وبلا رحمة .
ومن داخله ، بدأ يشعر بالتهالك والانهيار ، ولكنه صرخ
فى أعماق :

- لا بد وأن أصل إلى المستشفى .. وبأقصى سرعة .
اندفع يغادر ذلك الشارع الضيق ، ولكن الدوار الذى
أحاط به تضاعف أكثر وأكثر ، حتى أنه لم يعد يدرك ، أهو
تأثير السم ، أم الدماء التى فقدها ، والمجهود الجبار الذى
بذله ..!؟

وعبر (حسام) الشارع بأقصى سرعة ، ولكن الدوار
تضاعف ، وتضاعف ، وتضاعف ، و...

وفجأة ، لم يعد جسده القوى قادراً على الاحتمال ..
وبغثة .. وبلا مقدمات ، سقط (حسام) على أرض
الشارع فاقد الوعي ، فى قلب مدينة لا تعرف الرحمة أو
الهوادة ..

فى قلب (نيويورك) ..

★ ★ ★

٤ - المكتب الخامس ..

كان للتفجار وقع الصاعقة، على أعضاء نادي الجولف الملكي البريطاني، فهبوا جميعاً من مقاعدهم، واندفعوا إلى ساحة الجولف الرئيسية، حيث وقف سير (لاتسلوت) يتطلع مبهوئاً، إلى منطقة الأشجار الكثيفة، التي تصاعدت منها أبخنة مخيفة، وهتف رئيس النادي مذعوراً :

- ماذا حدث يا سير (لاتسلوت) .

بقي (لاتسلوت) صامتاً بضع لحظات، وهو يبحث ببصره بين الدخان المتصاعد، عن أثر يعلن مصرع (أدهم)، ويزيل ما تبقى في أعماقه من قلق مبهم، ثم لم يلبث أن رسم على وجهه علامات الحزن والأسى والارتياح، وهو يستدير إلى أعضاء النادي، هاتفاً :

- إنه سير (سبيلمان) المسكين .. (روجر سبيلمان) .. لقد دلف إلى تلك البقعة كثيفة الأشجار، خلف كرتيه، وعندما ضربها انفجرت، وأطاحت به تماماً .
شحبت وجوه الأعضاء، وأحدهم يهتف :
- يا للبشاعة !

وصاح الرئيس :

- ولكن هذا أمر مروّع، لا يمكن السكوت عليه .. إنه يشبه قذارات رجال العصابات الأمريكية، أيام (كابونى) (*) .. قنبلة في كرة جولف !.. يا للعار !.. لن نقبل هذا العبث الإجرامى فى (إنجلترا) قط .

أخفى (لاتسلوت) وجهه بكفيه، وهو يهتف فى تأثر وانفعال مبالغين :

- يا لهول ما حدث !.. قلبى يتمزق كلما تخيلت سير (سبيلمان) المسكين، وهذه القنبلة اللعينة تحوله إلى أشلاء متناثرة، و...

بتر عبارته، واختفت باقى كلماته فى حلقه، وانتفض جسده كله، عندما سمع من خلفه صوتاً ساخراً بارداً، يقول :

- احتفظ بقلبك سليماً يا سير (لاتسلوت)، كما احتفظت أنا بجسدى .

(*) (الفونسوا آل كابونى) (١٨٩٩-١٩٤٧) : أشهر مجرم فى تاريخ (أمريكا) كلها، عُرف باسم (الذو الندبة)، بسبب إصابته بموسى فى وجهه، ولقد نشأ فى (بروكلين)، ثم انتقل للعيش فى (شيكاغو)، وبلغ دخله حوالى ٢٠ مليون دولار، عام ١٩٢٠ م، من أعمال إجرامية ومخالفة للقانون، دون أن يفلح رجال الشرطة فى الإيقاع به، حتى تسبب (البوت نس) فى سجنه عام ١٩٣١ م، بتهمة التهريب من ضريبة الدخل .

التفت (لاتسلوت) إلى صاحب الصوت في ذهول، في نفس اللحظة التي انطلقت فيها شهقات أعضاء النادي، وهتف الرئيس في ارتياح :

- سير (سبيلمان) .. شكرا لله .. أنك سليم معافى .
لم يكن (أدهم) لحظتها سليماً فحسب، بعد أن نجا من الانفجار، وإنما كان بكامل أناقته ولباقته، يمسك عصا الجولف في هدوء، ويبتسم في وسامة، حاملاً وجهه وملامح (روجر سبيلمان) ..
وفي حرارة بالغة، اندفع إليه رئيس النادي يصافحه، قائلاً :

- إذن فقد نجوت يا سير (سبيلمان) .. كم يسعدنا هذا ؟
رمى (أدهم) (لاتسلوت) بنظرة ساخرة، وهو يقول :
- كانت محاولة حقيرة لقتلى، إذ أبدل أحدهم كرة الجولف الخاصة بي بأخرى زائفة، تحوى (نيتروجليرين) على الأرجح .. وأعترف أنني كدت أضربها بالفعل، لولا أن لاحظت شيئاً هاماً .

سأله أحد الأعضاء في شغف :

- وما هو ؟

لوح (أدهم) بعصاه، وقال في بساطة :

- إن الكرة كانت مستقرة تماماً، وكأنما وضعها أحدهم بيده، ولم تترك خلفها أثر الالتزاق البسيط، الذي يحدث مع سقوطها، وقبل أن تستقر في موضعها .. ولو أضفنا إلى هذا آثار الأقدام حولها، كان من الطبيعي أن أستنتج أنها كرة زائفة، ستتفجر فور أن تضربها عصا الجولف .
هتف أحد الأعضاء مبهوراً :

- من الطبيعي ؟! .. من أنت بالضبط ؟! .. (روجر سبيلمان) أم (شيرلوك هولمز) ؟
انعقد حاجبا (لاتسلوت) في غضب شديد، في حين اتسعت ابتسامته (أدهم) الساخرة، التي يرمقه بها في استهتار، ورئيس النادي يهتف :
- ولكن الكرة انفجرت بالفعل !
أوماً (أدهم) برأسه إيجاباً، وقال :

- بالطبع يا سيدي .. كان من الضروري أن أتأكد من أنني لم أخطئ الاستنتاج، لذا فقد احتميت بجذع شجرة كبير، وأصبت الكرة بحجر كبير ثقيل، وكان من الطبيعي أن تنفجر .. أليس كذلك ؟

تخلّى الأعضاء عن وقارهم هذه المرة، وهتفوا مهتئين في حرارة، وأحاطوا بـ (أدهم) يصافحونه، في حين بقي (لاتسلوت) في موضعه، والأبخرة تكاد تتصاعد من أنفه، مع ذلك البركان الثائر في أعماقه، حتى انفضّ الجمع، ورئيس النادي يقول :

- حمداً لله على سلامتك يا سير (سبيلمان) ، ولكننى سأبلغ الشرطة للتحقيق فى الأمر .

لوح (أدهم) بكفه ، قائلاً :

- هذا أمر طبيعى أيها الرئيس .

ثم اتجه إلى (لاتسلوت) ، وقال فى سخرية :

- عجباً !.. يبدو أنك الوحيد الذى لم يسمع لتنهلتنى

بالنجاة يا سير (لاتسلوت) .. هل أحقك ما حدث ؟

رمقه (لاتسلوت) بنظرة نارية ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فخلض (أدهم) عصاه ، واستطرد متهمكماً :

- وبالمناسبة .. نسيت أن أخبرك أننى عثرت على

حارسك (مور) وسط الأشجار ، وألقيت عليه التحية ،

ولست أدري لماذا سقط فاقد الوعي ، وفقد اثنتين من

أسنانه الأمامية الجميلة ؟.. ولكنه كان مهذباً فى الواقع ،

فلم يلفظ بحرف واحد ، ولم ..

قاطعه (لاتسلوت) فى عصبية :

- كفى .

قالها واستدار فى حركة عنيفة ، واندفع نحو استراحة

النادى ، ولكن (أدهم) لحق به فى خطوات واسعة ، وهو

يقول مواصلاً سخريته :

- ماذا أصابك يا عزيزى (لاتسلوت) ؟.. أين الهدوء
الأسطورى ، الذى يمتاز به شعبك ، الذى اشتهرت أنت
بالبذات به ، أيام عملك فى المكتب الخامس (*) ؟

توقف (لاتسلوت) بحركة مباغتة ، واستدار إلى
(أدهم) فى غضب ، قائلاً :

- ما الذى تريده بالضبط ؟.. لقد نجوت من الانفجار ..
حسن .. وماذا بعد ؟

أجابه (أدهم) فى برود :

- لقد بدأت مرحلة اللعب بأوراق مكشوفة يا سير

(لاتسلوت) .. والواقع أننى مغرم دائماً بهذه المرحلة ،

وأميل إليها كثيراً فى عملى .. الآن أنت تعلم من أنا ، وأنا

أعلم من أنت ، ولم يعد هناك مبرر للتحايل والمناورة .

قال (لاتسلوت) فى حدة :

- عظيم .. ومن هذا المنطلق ، دعنى أخبرك أن نجاتك

من الانفجار لايعنى أنك أصبحت فى مركز يستحق

الاهتمام .. حياتك نفسها أصبحت مسألة مؤقتة ، قد تنتهى

فى أية لحظة .

عقد (أدهم) حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

(*) المكتب الخامس : اسم يُطلق على المخابرات البريطانية .

- هذا أمر طبيعى ، لا يستحق فلسفة خاصة أيها الحقيير ، فحياة كل مخلوق فى الكون مسألة مؤقتة ، تنتهى فى اللحظة التى يختارها خالقه (عز وجل) ، وبالنسبة لك ، ستتحول حياتك إلى جحيم ، تتمنى فيه الموت ألف مرة ، لو لم أحصل منك على كل ما أبتغيه من معلومات .

انتفض (لاتسلوت) فى غضب هادر ، وهو يقول :
- هل بلغت بك الوقاحة حتى تهديدى فى وطنى أيها المصرى ؟! .. ألا تعلم ما يمكننى أن أفعله بك هنا ؟! .. يكفى أن أعلن أنك لست (روجر سبيلمان) كما تدعى ، وأن (آرثر سبيلمان) لم ينجب أبداً ، وسيكون عليك عندئذ أن تبرر موقفك لرجال الشرطة .

قال (أدهم) ساخراً :
- وهل يلجأ (لاتسلوت) العظيم لمثل هذه السخافات ؟
أجابه (لاتسلوت) فى غضب :
- نعم .. إذا اضطره الأمر لذلك .
تنهَّد (أدهم) ، وقال فى هدوء :
- إنك تضطرنى ، فى هذه الحالة ، إلى التعامل معك بوسيلة مختلفة .

قال (لاتسلوت) متحدياً :

- مثل ماذا ؟

أجابه (أدهم) بسرعة :

- مثل هذه .

قالها وهو يتحرك بخفة مذهشة ، ويدور حول خصمه ، ثم يلكمه لكمة فنية فى مؤخرة عنقه ، جحظت لها عينا (لاتسلوت) لحظة ، ثم هوى فاقد الوعي ، فتلقفه (أدهم) فى رشاقة ، وهو يهتف بصوت مرتفع ، تعمد أن يسمعه رواد النادي :

- سير (لاتسلوت) .. ماذا أصابك ؟

هرع إليه بعض الأعضاء ، هاتفين ؟

- ماذا حدث ؟

أجابهم (أدهم) متظاهراً بالفرع :

- لست أدرى .. لقد فقد وعيه فجأة .. إنه يحتاج إلى

طبيب .

هتف أحد الأعضاء :

- سأقوم باستدعاء طبيب النادي بسرعة .

قال (أدهم) فى حزم :

- كلا .. إنه يحتاج إلى طبيبه الخاص ، الدكتور

(مانن) .. سأحمله إليه على الفور .

وقرن القول بالفعل ، دون أن يضيع لحظة واحدة ،

فحمل (لاتسلوت) على ذراعيه ، وأسرع به إلى سيارته

أمام النادى، وبعض الرواد يلحقون به، ويعرضون مساعدتهم وتعاونهم، ووضع (أدهم) (لاتسلوت) الفاقد الوعى، على الأريكة الخلفية لسيارته، وهم بالجلوس خلف عجلة القيادة، عندما ظهرت سيارة الشرطة فجأة، وتوقفت أمام سيارته تمامًا، وهبط منها مفتش شرطة بريطانى، ينثب دخان غليونه فى إصراف، وهو يقول :
- أين سير (روجر سبيلمان) ؟ وما قصة القنبلة هذه ؟
أجابه (أدهم)، فى لهجة توحى بالعجلة :
- أنا (روجر سبيلمان)، ولكننى لن أستطيع شرح الأمر الآن، فمعى سير (لاتسلوت)، وهو فاقد الوعى، ولا بد لى من حمله إلى طبيبه الخاص على وجه السرعة، قبل أن ...

وهنا، قاطعه بفتة صوت الخادم (مور)، وهو يدعو نحو سيارة (أدهم)، صارخًا :
- أوقفوه .. إنه ليس (روجر سبيلمان) .. إنه زائف ..
أنقذوا سير (لاتسلوت)، قبل أن يختطفه .
ولكن (أدهم) جلس خلف عجلة القيادة بالفعل، وهو يقول :

- إلى اللقاء أيها المفتش، سأبذل قصارى جهدى للعودة بسرعة .

عقد المفتش حاجبيه، وهو يقول :

- مهلاً .. هذا الرجل يقول : إنك ..

ولكن (أدهم) لم يمهله ليتمّ قوله، وإنما انطلق بسيارته على الفور، و (مور) يصرخ :

- لا .. أنقذوا سير (لاتسلوت) .

وارتفع حاجبا مفتش الشرطة فى دهشة، ثم قفز داخل سيارته، وصاح فى سائقها :

- اتبع هذه السيارة .

وانطلقت سيارة الشرطة خلف (أدهم) ..

أما (مور)، فقد شحب وجهه فى شدة، ورئد فى ارتياح :

- رباه !.. سير (لاتسلوت) !

وتجمد فى مكانه لحظة، محدقًا فى النقطة التى اختفت عندها سيارة (أدهم)، ثم لم يلبث أن انتفض فى عنف، وكأنما يستيقظ من حلم بشع، ودار على عقبه، واندفع إلى داخل النادى، والتقط سماعة الهاتف، وضغط أزرار رقم خاص، ولم يكد يسمع صوت محدثه، حتى قال فى توتر :

- المكتب الخامس ؟ .. أريد التحدث إلى (ريتشارد

أكسيل) .. نعم .. أنا (مور) .. الخادم الخاص لسير
(لاتسلوت) .. إنه أمر عاجل للغاية .

وانتظر لحظات ، حتى سمع صوت محدثه ، فهتف :
- مستر (أكسيل) .. إنه أنا .. (مور) .. لقد اختطفوا
سير (لاتسلوت) يا سيدي .. نعم .. اختطفه جاسوس
(مصرى) .. أنقذه يا مستر (أكسيل) .. أرجوك .

ولم يكذ بعيد سماعة الهاتف ، حتى أصبح واثقاً من أنه
قد أطلق في أعقاب (أدهم) أكبر قوة ، في الإمبراطورية
البريطانية السابقة كلها ..

رجال المكتب الخامس ، المعروف عالمياً باسم أكثر
وضوحاً ..

اسم : جهاز المخابرات البريطانية .



٥ - الخطأ تسير ..

بدأت (سونيا جراهام) شديدة التوتر في ذلك المساء ،
وهي تتحدث هاتفياً مع (ألكس ميلانوفيتش) ، الذي هتف
من قلب (موسكو) ، بحماس منقطع النظير :

- كل شيء يسير على ما يرام يا ممز (آرثر) ..
البضائع وصلت هنا ، وافتتحنا شركة تصدير المعدات
الزراعية الروسية . وسيتم استبدال القطع الرئيسية مع
(مالينوف) ، و ..

قاطعته (سونيا) في عصبية :

- لا تذكر أية أسماء .

ازداد لعابه ، وقال :

- بالطبع يا ممز (آرثر) .. بالطبع .. هذا أمر بديهي ..

إنه مجرد سهو فحسب ، ولم أكن أقصد أن ..

قاطعته مرة أخرى في عصبية أكثر :

- فليكن .. متى تحصل على القطع الأصلية ؟

أجابها بسرعة :

- غذا .. في منتصف الليل تماماً .. لقد اتفقت على كل

شيء مع (مال...) أقصد مع صديقنا هنا ، وسنلتقى في المكان المحدود ، وننتهي كل شيء بسرعة .

زفرت في توتر شديد ، لم يجد له مبرراً ، فتمتم مرتبها :

- أليكم أية تعليقات ؟

أجابته في حدة :

- كلا .. امض في الصفة تبعا للحظة .

وأنتهت الاتصال بسرعة عجيبة ، ثم رفعت عينها إلى (توني بورمالينو) ، وأشعلت سيجارتها في عصبية ، فسألها في خفوت حذر :

- الخطة تسير على ما يرام .. أليس كذلك ؟

أومأت برأسها إيجاباً في توتر ، وهو تنفث دخان سيجارتها ، ثم سألته في انفعال واضح :

- إذن فقد تحدثت عن (راسبوتين) ؟

قال (توني) :

- هذا ما أخبرني به (جونز) ، ولكنني أجهل ما يعنيه

هذا ، وما صلة ذلك الراهب الروسي المخيف بما حدث ؟

لوحث بيدها ، قائلة :

- هذا لأن ثقافتك ضحلة للغاية .

فغر فاه في دهشة ، وهو يقول :

- وما صلة الثقافة بهذا .

نفثت دخان سيجارتها مرة أخرى ، وهي تجيب :

- لو أنك قرأت شيئاً عن (راسبوتين) هذا ، تعلمت أن

أحد النبلاء حاول قتله ذات مرة ، باستخدام سم

(السيانيد) ، ولكن (راسبوتين) كان مصاباً بانعدام

أحماض المعدة ؛ بسبب إدمانه الطويل للخمر ،

و (السيانيد) في حد ذاته ليس مادة سامة ، وإنما يتحول

إلى ذلك عندما يختلط بحمض الهيدروكلوريك في المعدة

وينتج حمض السيانيد المائي ، وهو الشق الشديد السمية ،

وفي حالة خلو المعدة من الحامض ، يبقى السيانيد كما

هو ، فيبقى أثره السام .

هتف (توني) :

- فهمت .. إذن فالأقراص التي كان يتناولها ذلك

الشیطان ، والتي تمنع إفراز حامض الهيدروكلوريك في

معده ، هي التي منعت تكوّن الحامض السام ، وأنقذته من

الموت .

قالت في عصبية :

- تماماً .. إنه ينجو في كل مرة بمعجزة مماثلة ، وكأنما

يحاييه ملك الموت .

تطلع إليها في دهشة ، وهو يقول :

— هل تعرفينه يا سيدتى ؟

عقدت حاجبيها فى شدة ، وتطلعت لحظة فى صمت عجيب ، إلى حوض السباحة المجاور لمكتبها ، عبر الجدار الزجاجى الضخم ، الذى يفصل بينهما ، قبل أن تجيب بصوت يمجج بالانفعال .

— لو أنه الشخص نفسه ، الذى أفكر فيه ، فأنا أعرفه جيدًا .. بل وأكثر مما يمكنك تخيله .

زادت دهشته ، وهو يتأمل عصبيتها وانفعالها ، وهى تجذب أنفاس سيجارتها فى قوة ، ثم تنقلها فى عنف ، وتتابع :

— ولكن هناك أمر يثير حيرتى ودهشتى .

سألها فى حذر :

— وما هو ؟

ازداد انعقاد حاجبيها لحظات ، قبل أن تقول :

— الشخص الذى هرب من إدارة الشرطة ، يتعامل مع الأمور بعنف شديد ، ويتسبب فى مصرع البعض دون تردد ، وهذا لا يتفق مع طبيعة الشخص الذى أعرفه ، والذى يتعامل مع الحياة وكأنها جوهرة ثمينة ، يتفادى طوال الوقت مجرد خدشها ، إلا فى حالات الضرورة القصوى ، وللدفاع عن حياته ووطنه فحسب .

هتف (تونى) فى دهشة :

— أى شخص هذا ؟

شرد بصرها ، وهى تجيب :

— شخص من طراز شديد الندرة ، لا يمكنك أن تجد سوى نسخة واحدة منه ، فى الجيل الواحد ، وربما فى عدة أجيال .. شخص يمكنه أن يتصدى وحده لجيش كامل ، دون أن تهتز فى جسده شعرة واحدة ، أو يتراجع قيد أنملة .. شخص من نوع خاص يا (تونى) .. خاص جدًا . ارتفع حاجباه فى دهشة بالغة ، وهو يقول :

— سيدتى .. إنك ..

كاد يقول :

— إنك تعشيقينه .

ولكنه أمسك لسانه فى اللحظة الأخيرة ، قبل أن ينطق الكلمة ، وتلعثم لجزء من الثانية ، قبل أن يتابع :

— إنك تدهشينى .

سحقت بقايا سيجارتها فى المنفضة ، وهى تقول :

— المصطلح الأكثر صحة هو : « إنك تخيفينى » .

هز كتفيه ، قائلاً :

— لو أنه هناك شخص كهذا ، فهو كفيل بإخافتى بالفعل .

مطت شفيتها الجميلتين ، وهى تقول :
- إنه موجود بالتأكيد .

ثم التفتت إليه مستطردة فى حماس مفاجئ :
- ولو أننا نتحدث عن الشخص نفسه ، فنجاته من السم
ليست نهائية ، إذ أن المجهود والانتفال سيجبران معدته
حتمًا على إفراز شيء من الحامض ، وعندئذ يتكوّن
الحامض السام ، ويلقى مصرعه ، أو ...
عادت تعتد حاجبيها فى تفكير عميق ، فسألها فى
لهفة :

- أو ماذا ؟ ..

قالت فى بطء :

- أو يفقد وعيه على الأقل .

سأل فى اهتمام :

- وماذا سيحدث عندئذ ؟

قالت فى حماس :

- سيحملونه إلى أقرب مستشفى بالتأكيد ، أو يتركونه
ليلقى مصرعه وسط الطريق .

أشعلت سيجارة أخرى فى انفعال ، وقالت :

- فليكن يا (توني) .. إنك لن تحظى بالنوم هذه الليلة ..
ستدور على كل مستشفى فى (نيويورك) ، وتبحث عن

شخص فقد الوعي فى الطريق ، ومصاب بتسمم محدود ،
وربما برصاصة أو رصاصتين ، وسنعثر عليه حتمًا .
وارتجفت أطرافها ، وهى تتلفت لخان سيجارتها ،
مستطردة :

- حتمًا يا (توني) .. حتمًا .

واشتعلت نيرانها أكثر ..

★ ★ ★

كانت مطاردة مثيرة ، فى قلب (لندن) ..

(أدهم) ينطلق بالسيارة ، فى قلب العاصمة البريطانية ،
وسير (لاتسلوت) فاقد الوعي ، فى مقعدها الخلفى ،
وسيارة الشرطة تشق طريقها خلفه ، وبوقها ينطلق
بتواصل مزعج سخيف ..

ولكن ، من يهزم (أدهم صبرى) ، فى مطاردة
سيارات ..

لقد انطلق وسط الشوارع المزدحمة فى مهارة
مدهشة ، وكأنما ينطلق فى صحراء خاوية ، والمارة
يفسحون له الطريق مذعورين ، وهو يقفز بسيارته فوق
الإفريز تارة ، ويتجاوز بها سيارة مسرعة تارة أخرى ..
وفى سيارة الشرطة ، هتف المفتش ، وهو يمسك بوق
جهاز اللاسلكى :

- إلى جميع الوحدات .. اشتركوا معنا في هذه
المطاردة .. إننا نطارد شيطاناً بالتأكيد .. لقد اختطف أحد
النبلاء ، وهو يقود سيارته على نحو لم أشاهده قط من
قبل ، في طريق (البيكاديللي) (*) .. حاولوا اعتراض
طريقه ، أو افعلوا شيئاً لإيقافه .

وراح يكرر نداءه على نحو متصل ، والشرطى
المصاحب له يطارد (أدهم) في ذلك الطريق الطويل الذى
يقود إلى الميدان ، ثم لم يلبث أن هتف فى ارتياح :
- لقد اعترضوا طريقه .

كانت هناك سيارتان من سيارات الشرطة ، فدظهرتا
بالفعل ، عند نهاية الطريق ، وانحرفتا لتسدان مخرجه
جيداً ، فى محاولة لمنع (أدهم) من الفرار ..
ولكن (أدهم) لم يتوقف ..

إنه حتى لم يخفف من سرعته ، وهو يندفع نحو
السيارتين كالصاروخ ، فهتف الشرطى الذى يقود
إحدهما :

- ماهذا بالضبط ؟ .. أهو مجنون أم أحمق ؟
ومع نهاية حروف كلماته ، انحرف (أدهم) يمينا بحركة

(*) (بيكاديللي) : ميدان شهير ، فى قلب العاصمة البريطانية ،
اشتهر بتجمعات الفنانين و فرقة الهيبز ، والمفترين من كل الجنسيات .



وارتجفت أطرافها ، وهى تنفث دخان سيجارتها ، مستطردة :

- حتماً يا (توني) .. حتماً

سريعة ، وقطع بسيارته فوق الإفريز ، وترك السيارة تحتك
بجدار أحد المنازل ، وهو يعبر تلك الفرجة الضيقة ، بين
مؤخرة سيارة الشرطة والجدار ..

وصرخ المارة ، عندما نجح (أدهم) فى العبور
بسيارته ، من ثقب الإبرة ..

صرخوا فى ذعر وانبهار ، وشهق بعضهم غير
مصنق ، مع انطلاق سيارته المتزن ، بعد ذلك العبور
المذهل ..

وصرخ مفتش الشرطة فى غضب :

- المسحوا الطريق أيها الأغبياء .. لقد تركتموه
يتجاوزكم ، وأنتم تعترضون طريقى الآن .
واضطر سائقه إلى التوقف ، حتى اعتذلت سيارتا
الشرطة ...

وبدأت المطاردة من جديد ..

وفى هذه المرة ، اتجه (أدهم) نحو أطراف المدينة ،
وكانه يعرف طريقه بالضبط ، فقال مفتش الشرطة فى
قلقى ، عبر جهاز اللاسلكى :

- إلى أين يقودنا هذا الرجل ؟

أجابه أحد رجال الشرطة ، فى السيارتين الأخريين :
- إننا نتجه إلى الجسر ، ومنه سنعبّر إلى الطريق
الدائرى ، وهناك لن يمكننا اللحاق به قط .

هتف المفتش :

- لا بد وأن نمنعه من بلوغه إذن .. اسمع يارجل ..
سنفترق هنا .. أنا سأواصل مطاردته على نحو مباشر ،
وأنت وزميلك تتخذان الطريق المختصر ، وتحاولان
اعتراض طريقه قبل الجسر .

ثم استطرد فى حدة :

- ولا تتبعنا الخطة نفسها ، التى اتبعناها عند الميدان .

قال أحد رجال الشرطة فى ضيق :

- سنبدل قصارى جهننا .

وانفصلت السيارتان عن الركب ، وانطلقتا عبر الطريق
المختصر ، وخلفهما عاصفة من الغبار ، فى حين أهدل
المفتش موجة الاتصال ، وقال :

- هنا المفتش (بلاكى) .. المطاردة تتجه إلى الجسر
الشرقى .. اطلبوا رفع الجسر على الفور ، لنقطع الطريق
على ذلك الشيطان ..

أما (أدهم) ، فقد لاحظ انحراف السيارتين إلى الطريق
الجانبى ، فابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

- محاولة جيدة أيها السادة ، ولكن الطريق المختصر
يحتاج إلى سرعة كبيرة ، حتى يمكنكم الوصول قبلى إلى
الجسر ، ووعورة الطريق ستمنعكما من هذا .

وضغط دواسة الوقود أكثر ، على الرغم من أن السيارة
تنتقل بأقصى سرعتها بالفعل ، ولاح له الجسر من بعيد ،
و ..

وفجأة انقض عليه سير (لاتسلوت) من المقعد
الخلفى ، وأحاط عنقه بذراعه ، وهو يهتف :
- انتهت اللعبة أيها المصرى .. (لاتسلوت) ربح
كالمعتاد .

كانت مبادرة مباغتة بالفعل ، وكفيلة بإرباك أكثر الرجال
ثباتاً ..

ولكن ليس (أدهم صبرى) ..
لقد استوعب (أدهم) الموقف فى جزء من الثانية ،
فتشبّث بعجلة القيادة بيمناه ، وأدار يسراه خلف ظهره فى
سرعة ومهارة ، فأمسك عنق (لاتسلوت) ، وجذبه فى
قوة ، قانلاً :

- قول سابق لأوانه أيها الوغد .

شعر (لاتسلوت) وكأن كلابة فولاذية أطبقت على
عنقه ، وانتزعته من مقعده بقوة خرافية ، فطار جسده إلى
المقعد الأمامى ، وارتطم رأسه بزجاج السيارة فى عنف ،
قبل أن يسقط فى قاع السيارة ، وهو يصرخ فى ألم
غاضب :

- لا .. لن تهزمى بهذه السهولة .

ومن سيارته ، رأى مفتش الشرطة ما يحدث ، فهتف
فى حماس :

- إنهما يتشاجران .. عظيم .. لقد استعاد النبيل
وعيه .. هيا يا رجل .. هاجمه فى قوة .. اضربه بقبضتك .
ولكن فى نفس اللحظة التى نطق فيها هذا ، كانت قبضة
(أدهم) تهشم أنف سير (لاتسلوت) ، مع قوله الساخر :
- هذا أيضاً قول سابق لأوانه .

تلقى (لاتسلوت) اللكمة ، فتراجع فى عنف ، وارتطم
رأسه بالزجاج المجاور له ، ثم ارتد مرة أخرى ، فاستقبلته
لكمة ثانية من قبضة (أدهم) ، أعادته مرة أخرى إلى حالة
فقدان الوعى ..

وعندما اعتدل (أدهم) بعد أن أسقط خصمه ، كانت
سيارته تتدفع بكل قوتها وسرعتها نحو الجسر ..

وكان الجسر يرتفع من منتصفه ..

ولم يعد التوقف ممكناً ..

بل ولم تعد النجاة نفسها ممكنة ..

لقد صارت مستحيلة ..

مستحيلة بحق .

★ ★ ★

٦ - الضربات ..

« سونيا جراهام » ؟ ... !

هاتف مدير (الموساد) بالاسم في دهشة بالغة ، قبل أن يعقد حاجبيه في شدة ، ويستترد في اهتمام :

- أنت واثق من هذا يا (موشى) ؟

أوما (موشى نذرانيلى) برأسه إيجاباً ، وقال :

- كل الثقة يا سيدي .. الشواهد كلها تؤكد أن (سونيا جراهام) تعمل لحساب تلك المنظمة الجديدة ، المعروفة باسم (سناك) ، إن لم تكن تحتل موقعاً قيادياً هاماً فيها .
مط المدير شفتيه ، وهو يغمغم :

- يا للخائنة الحغيرة .

ثم سأل في اهتمام أكثر :

- وهل جمعت تحريات كافية حول تلك المنظمة ؟

أجابه (موشى) :

- لقد اتصلت بمؤيدينا في (الكونجرس) (*) ، وأجرى

(*) الكونجرس : السلطة التشريعية ، في الحكومة الاتحادية للولايات المتحدة الأمريكية .. تأسس عام ١٧٨٩ م ، بمقتضى المادة الأولى من دستور الولايات المتحدة ، ويتكون من مجلسين .. مجلس الشيوخ ، ومجلس النواب .

رجال مكتبنا في نيويورك تحرياتهم الخاصة ، وتوصلوا إلى أن (تونى بورساليينو) هذا مجرد مهاجر أوروبى ، عمل طويلاً في بورصة الأوراق المالية (*) وأفلس مرتين على الأقل ، ثم اختفى لعام أو عامين من عالم رجال المال والأعمال ، ليظهر فجأة منذ فترة ليست بالطويلة ، ويرأس مجلس إدارة شركة الإليكترونيات الكبرى في (نيويورك) .

سأله المدير :

- وكيف أمكنه ابتياع شركة ضخمة كهذه ؟

هو (موشى) رأسه نفياً ، وقال :

- هذا ما يبدو ظاهرياً ، ولكن البحث الدقيق أكد أنه ليس مالك الشركة ، وإنما رئيس إدارتها فحسب .

بدا اهتمام مشوب بالشك ، على وجه المدير ، وهو يقول :

- ما الذى يعنيه هذا ؟ .. المفروض أن مالك الشركة هو

الذى يرأس مجلس إدارتها فى المعتاد .

لوح (موشى) بمسأبته ، قائلاً :

(*) بورصة الأوراق المالية : سوق يتم التعامل فيها على الأوراق المالية حيث يلتقى البائعون والمشترون ، لتبادل سلعة متماثلة للوحدات ، معروفة الأوصاف ، كالقطن ، والمنسوجات ، والأسهم ، والأوراق المالية .

هذا الأمر يعنى الكثير يا سيدي .. وربما يعنى أننا قد
أمسكنا طرف الخيط، الذى يقودنا إلى قلب منظمة (سناك)
الجديدة .

تراجع المدير فى مقعده ، وقال :

- ويعنى أيضًا أنه من الضروري أن نتحرك فى سرعة ،
قبل أن يسبقنا المصريون إليها .

انعقد حاجبى (موشى) فى شدة ، فور ذكر اسم
المصريين ، وقال فى شيء من الحدة :

- وما شأن المصريين بهذا ؟

دفع إليه المدير عددًا من التقارير الموضوعه أمامه ،
وهو يقول :

- من الواضح أنك لم تتابع التقارير الواردة من
(أمريكا) ، فى الآونة الأخيرة .. هناك مصرى أصاب
نصف (نيويورك) بالجنون ، منذ الصباح وحتى الآن
ونجح فى الفرار وحده من إدارة الشرطة ، بعد أن نصف
ثلاثيها على الأقل ، ولا أحد يعلم أين هو الآن .

ازداد انعقاد حاجبى (موشى) فى شدة ، وهو يقول فى
مقت واضح :

- (أدهم صبرى) .

تطلع إليه المدير لحظة فى صمت ، ثم قال :

من الواضح أنك تكن له بغضًا شديدًا ، بسبب ما فعله
بك ، عندما ألقينا القبض عليه هنا (*) .

تأملت عينا (موشى) فى غضب ، لم يلبث أن ذاب وسط
ملامحه الجليدية الباردة ، وهو يقول :

- أعتقد أن أفضل ما يمكن عمله ، هو أن أسافر فورًا
إلى (أمريكا) .

تأمله المدير لحظة أخرى ، ثم قال فى حزم :

- هذا صحيح ، ولكن تتكردائمًا أنها ليست عملية تأرية
شخصية .. إنها مهمة عمل .. ومهم بالغة الخطورة .. إنك
تسعى خلف منظمة (سناك) ، وليس خلف (أدهم
صبرى) .

قال (موشى) فى برود عجيب :

- أعلم هذا .

ثم عادت عيناه تتألقان ، وهو يستطرد :

- ولكن عندما تنتهى المهمة ، لن نعود أنا و (أدهم
صبرى) سالمين .. سيعود أحدهما على الأقل داخل صندوق
بارد .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف :

- أو كلاهما .

(*) راجع قصة (أرض العدو) .. المغامرة رقم ٩٣

وغادر حجرة المدير فى برود مخيف ..
برود قاتل ..

★ ★ ★

ماذا تفعل ، لو أنك فى موقف (أدهم صبرى) ؟..
الشرطة البريطانية تطاردك ، وغريمك اللدود فاقد
الوعى ، على قيد سنتيمترات منك ، ويمكنه أن يستعيد
وعيه فى أية لحظة ، وسيارتك تنطلق بأقصى سرعة ، نحو
جسر انقسم من منتصفه تمامًا ، وراح كل من نصفيه يرتفع
مبتعدًا عن الآخر ..

ربما تتحرك قدمك على نحو غريزى ، فتضغط دواسمة
الفرامل لتخفيف السرعة ، وتدير يداك عجلة القيادة فى
لهفة ، لتفادى الاندفاع خلف الجسر .

هذا ما ستمليه عليك غريزة البقاء ، الكامنة فى أعماق
كل كائن حى فى الوجود ..

ولكن (أدهم) لم يفعل هذا ..

لقد اعتدل فى مقعده جيدًا ، وقبض على عجلة القيادة
بيد من فولاذ ، وضغط دواسمة الوقود أكثر ، وكأنه يطالب
السيارة بتجاوز سرعتها القصوى استجابة له ، و ...

وعبر الجسر ..

عبره صاعدًا بأقصى سرعته ، حتى بلغ النصف المرتفع
منه ، وصرخ مفتش الشرطة :

- ماذا سيفعل هذا المجنون ؟ .. إنه يقتل نفسه .
ولكن (أدهم) وثب بالسيارة ، عبر نصف الجسر
المفتوح ..

واحتبست الأنفاس كلها فى ذهول منبهر ، والسيارة
تطير المسافة الخالية ، بين نصفى الجسر ، ثم تبدأ رحلة
الهبوط نحو النصف الآخر للجسر ..

وانتفض جسد المفتش ، عندما رأى السيارة تهبط فى
عنف ، وإطارتها تطلق صريرًا مخيفًا ، مع انزلقها البالغ
الخطورة ، والذى كاد يعرضها للانقلاب ، لولا سيطرة
(أدهم) الخرافية على عجلة القيادة ..

وفى ذهول ، هتف المفتش ، وسائقه يضغط فرامل
سيارته فى قوة ، قبل أن تبلغ الجسر :

- لقد فعلها ...! هل تصدق هذا ؟ .. لقد فعلها .

ولم يكذب بتم عبارته ، حتى انفجر الإطار الأمامى الأيسر
لسيارة (أدهم) ، ودوى انفجاره كقنبلة مكتومة فى
المكان ، فى نفس اللحظة التى ظهرت فيها سيارتا الشرطة
من الطريق المختصر ..

وأمام أعين الجميع ، دارت سيارة (أدهم) حول نفسها
فى عنف ، وصرخت إطارتها أعلى وأكثر ..

ثم انقلبت على جانبها ..

انقلبت وراحت تزحف طويلاً، قبل أن تستقر أرضاً، في منتصف الطريق تماماً، وإطاراها العلويان يدوران في عنف ..

وهتف رجال الشرطة في انفعال :

- دعوا الحارس بخفض الجسر .. إنها فرصة مثالية ..
لقد أوقفنا ذلك الرجل .. أسرعوا قبل أن يفر .

بدأ الحارس عملية خفض الجسر بالفعل، في حين دفع (أدهم) جسده خارج السيارة، من النافذة العليا، وجذب إليه جسد (لاتسلوت) في قوة، وهو يقول :

- هيا أيها الوغد .. لقد خسرنا هذه الجولة، بسبب رداءة إطارات السيارة، ولو لم نسرع بالابتعاد، سنخسر المباراة كلها .

جذب جسد (لاتسلوت)، الفاقد الوعي، خارج السيارة المقلوبة، وحمله على كتفيه، وهو يدير عينيه في المكان، بحثاً عن وسيلة لمواصلة الفرار، في حين راح الجسر ينخفض أكثر وأكثر، وسيارات الشرطة الثلاث تستعد لعبوره، ومواصلة المطاردة ..

ولم تكن هناك وسيلة مواصلات واحدة قريبة ..

ولكن (أدهم) لم يتوقف ..

لقد انحرف عن الطريق الممهّد، وانطلق بحمله وسط

غابة كثيفة، على جانب الطريق، وراح يعدو عبرها بأقصى سرعته ..

والتقى نصفاً الجسر ..

وعاود رجال الشرطة المطاردة ..

وبمجرد عبورهم الجسر، هتف المفتش :

- لقد رأيته يلج تلك الغابة .

قال أحد رجال الشرطة في قلق :

- ولكن السيارات لن يمكنها ولوج الغابة .

صاح به المفتش في غضب :

- أوقف السيارات إنن وطاردوه على الأقدام .

أطاعوه على الفور، وأوقفوا سياراتهم، وانطلق أربعة

من رجال الشرطة البريطانيين على أقدامهم، وهم

يمكنون مسدساتهم، لمطاردة (أدهم) عبر الدغل . وقطع

(أدهم) الطريق بأقصى سرعة سمحت بها قدماءه، مع

الرضوض التي تملأ جسده، من جراء انقلاب السيارة،

وجسد (لاتسلوت) الذي يحمله ..

ومن خلفه، بدا وقع أقدام رجال الشرطة واضحاً ..

كان يعدون خلفه بسرعة كبيرة، حتى أنهم يقتربون

منه، بأسرع مما يتعد هو عنهم ..

وفور إدراكه لهذه الحقيقة، توقف (أدهم) عن



لقد انصرف عن الطريق الممهّد ، وانطلق بحمله وسط غابة كثيفة ،
على جانب الطريق ، وراح يعدو عبرها بالقصى سرعته .

الابتعاد ، ووضع جسد (لاتسلوت) إلى جوار إحدى
الأشجار ، وهو يقول :

- يبدو أنه لا مفر من هذا أيها الوغد .. مستنظرتني هنا ،
حتى أنتهى من أمر المطاردين ، وأعود إليك .

قالها وتحرك في خفة ، مبتعداً عن المكان ، وفي هذا
الوقت قال أحد رجال الشرطة لزملائه الثلاثة :

- المكان ضخم للغاية ، ويمكن لهذا الشيطان أن يختفى
خلف أية شجرة هنا .

سأله زميله :

- وما الذى يمكننا أن نفعله ؟

توقف الشرطى ليقول :

- أفضل ما يمكننا فعله ، هو أن ننقسم إلى فريقين ،

ويتحرك كل فريق منا فى اتجاه ، و ..

قاطعها فجأة صوت ساخر ، يقول :

- لا داعى لهذا .

استدار رجال الشرطة الأربعة فى دهشة وفزع ، وبدا

لهم المكان كله خالياً ، فهتف أحدهم ، ومسسه متحفز بين

أصابعه :

- من قال هذا ؟

أجابته زميله فى توتر :

- إنه ليس شبحًا بالتأكيد ، على الرغم من أن المنطقة خالية ، و .

أتاهم ذلك الصوت مرة ثانية ، قائلاً بنفس اللهجة الساخرة :

- أنت واثق من هذا ؟

وفي هذه المرة ، مَيَّز الأربعة موضع الصوت ، ورفعوا رؤوسهم إلى أعلى ، و ..

وانقضَّ عليهم (أدهم) ، من فوق شجرة قريبة ..

وفي تقريرهم الرسمي ، الذي قدموه فيما بعد ، في دائرة الشرطة ، لم يستطع أحدهم وصف ما حدث بعد هذه الالتفافية بالتفصيل ..

الأمر الوحيد ، الذي أتفقوا عليه ، هو أنهم رأوا (أدهم) ينقضُّ عليهم ، ثم شعروا بمطارق فولانية تهوى على فكوكهم وأتوْفهم ، وتغوص في أمعانهم ، وأن قوة عجيبة انتزعت مسدساتهم ، وألقتها بعيدًا ، قبل أن يلقيهم خلفها فأقْدَى الوعي ..

واحد منهم فقط ، قال : إنه حاول أن يطلق النار ، ولكن (أدهم) وثب نحوه ، ودار حول نفسه على نحو مبهٍر ، بالغ الخفة والرشاقة ، وأطاح بمسدسه بركلة متقنة قوية ، قبل أن يهوى على معدته بكلمة كالقنبلة ، أعقبها بأخرى كالصاعقة ، في أنفه مباشرة ..

أما (أدهم) نفسه ، فقد أنهى القتال في لحظة واحدة تقريبًا ، ثم اعتدل قائلاً :

- تقبلوا أسفى أيها السادة .. لقد اضطررت لقتالكم ، على الرغم من أننا نعمل في الواقع في الفريق نفسه ، فكل منا يسعى خلف العدل والحقيقة ، ولكن من العسير عليكم أن تتفهموا موقفى ، ومن المستحيل أن أشرحه لكم . وقلب كفيه ، مستطرذاً في أسف :

- إنها الحياة .

لم يكد يتم عبارته ، حتى تناهت إلى مسامعه صرخة امرأة مذعورة ، ممتزجة بصهيل جواد ، فهتف :

- ماهذا بالضبط ؟

وعاد أدرجه عدواً ، إلى حيث ترك (لاتسلوت) ، وانعقد حاجباه في شدة ، عندما لم يجد في موضعه ، وغمغم :

- لقد استعاد الوغد وعيه .

قالها وواصل طريقه بسرعة إلى مصدر الصوت .. وفي طريق تراهى ضيق ، رأى سيدة إنجليزية أنيقة ، تمتطى جواذاً أسود ، وإلى جوارها أخرى ملقاة أرضاً ، تصرخ في غضب :

- ذلك الحقيِر سرق جوادى وهرب به .
والتفتت إلى (أدهم) ، قائلة :

- الحق به أيها السيد .. أوقفه .

تطلع (أدهم) في اهتمام إلى جواد (لاتسلوت) ، الذي يعدو به راكبه مبتعداً ، وقال وهو يتجه بسرعة إلى الجواد الآخر :

- على الرحب والسعة .

وارتفع حاجبا المرأة الأخرى في دهشة بالغة ، عندما حملها على متن جوادها في خفة ويسر ، وهو يقول :

- اسمحي لي يا سيدي .

ثم شهقت مبهورة ، مع تلك الوثبة المدهشة ، التي اعتلى بها ظهر الجواد ، وجذب عنائه هاتفاً :

- هيا أيها الجواد الأصيل .. الحق به .

أطلق الجواد صهيلاً رائعا ، وكأنما يعلن خضوعه لفارسه ، وثقته المطلقة في قيادته ، ثم انطلق خلف جواد (لاتسلوت) ، والمرأة تهتف بأنفاس لاهثة :

- إنه فارس حقيقي .. فارس رائع .

قالت الأخرى ، وهي تنهض مبهورة :

- ووسيم .

أما (أدهم) نفسه ، فراح يحث جواده على الإسراع ، خلف جواد (لاتسلوت) ، وهو يقول له :

- هيا يا صديقي .. دعنا نلحق بذلك المغرور ، ونثبت له أن العرب هم أعظم الفرسان ، في كل زمان ومكان هيا .

ولكن جواد (لاتسلوت) كان قويا بحق ، كما كان هذا الأخير شديد الاتفعال والغضب يهتف في شماتة :

- لن تلحق بي أبداً أيها المصري .. أنت لا تعرف (لاتسلوت) .. أنا أفضل فارس ، في انجلترا كلها .

انطلقا يطاردان بعضهما البعض في إصرار ، حتى بلغ الطريق الرئيسي ، فهتف (لاتسلوت) ، وهو يندفع إليه :

- ها هو ذا أخيراً .. دقائق وأجد عشرات من رجال الشرطة لحمايتي أيها العربي .. لقد خسرت هذا السباق .. خسرت تماماً .

وجذب عنان جواده ، وهو يلكزه في معدته بقوة ، فوثب الجواد إلى الطريق ، ثم تجاوزه بوثة أخرى أنيقة ، إلى الجانب الآخر ، حيث سهل معتمد ، ينتهي بأطراف المدينة ..

ومن خلفه هتف (أدهم) بجواده :

- لا تسمح له بهذا أيها الصديق .. تعاون معي جيذاً ، فأننا (أدهم) ، وأنت (أدهم) (*) .. وهذا يجعلنا صديقين .. أليس كذلك ؟

انطلق الجواد مطيعاً نحو الطريق الممهّد ، وعينا

(*) أدهم : كلمة عربية ، تعنى شديد السواد .

(أدهم) تتابعان (لاتسلوت) ، الذى يقطع السهل بجواده ،
وهو ينهب الأرض نهباً ..

ولكن (أدهم) جواده لعبور الطريق ..
واندفع الجواد نحو الطريق ..

وفجأة ظهرت تلك السيارة (البورش) المسرعة ، وهى
تقطع الطريق كالسهم ..

وأطلق جواد (أدهم) صهيقاً عالياً ، وكأنه يسأل صاحبه
المشورة ، ولكن ..

لم يكن التوقف فى الوقت المناسب ممكناً ..
لم يكن كذلك أبداً .

★ ★ ★



٧ - رجل .. وطائرة ..

سعى رجل المخابرات البريطانى (ريتشارد أكسيل) فى
خفوت ، لينبه رئيسه ، الذى انهمك فى مراجعة عدد من
التقارير الدورية ، فرفع الرئيس عينيه عن التقارير ،
وتطلع إلى (أكسيل) لحظة ، قبل أن يعتدل قائلاً :

- لقد طلبت مقابلتى يا (ريتشارد) .

تنحنح (أكسيل) ، وقال فى هدوء :

- لقد تلقينا إشارة استغاثة من (مور) ، الخادم

والحارس الخاص لمسير (لاتسلوت) ، وهو يقول : إن

جاسوسنا اختطف سيده ، ويطلبنا بالتدخل لإنقاذه .

مط رئيسه شفتيه ، وقال :

- ولماذا لم يتصل بالشرطة ؟

هز (أكسيل) كتفيه ، وقال :

- من المؤكد أنه وجد الاتصال بنا أكثر فائدة .

عاد رئيسه يمط شفتيه ، وينهمك فى التفكير لحظة ،

ثم قال :

- ولكن (لاتسلوت) لم يعد يعمل معنا .

قال (أكسيل) فى هدوء :

- ولكن لديه من أسرارنا ما يجعله شخصاً شديد الأهمية ، ويستحق عملية إنقاذ كبرى من الفئة (١) .

أوما الرئيس برأسه موافقاً ، وقال :

- هذا صحيح .. خذ هذه العملية يا (ريتشارد) ، وحاول أن تنتهيها بسرعة ، وعلى نحو نظيف ، حتى لا نضطر لتبرير موقفنا فى البرلمان ..

سأله (أكسيل) :

- هل أستعين بطائرة هليكوبتر ؟

أجابه فى حسم :

- بالتأكيد ، ولكن احرص على ألا تتلفها .. إنها عهدة حكومية .. لا تنسى هذا قط .

سأله (أكسيل) فى اهتمام :

- وماذا عن ذلك الجاسوس ، الذى اختطف (لاتسلوت) ؟

هر الرئيس كتفيه ، وقال :

- دعنا نكتفى بإنقاذ رجلنا السابق .. إننى أكره كتابة التقارير ومراجعة محاضر التحقيقات ، من أجل عملية جاسوسية محدودة .

ارتسمت على شفتى (أكسيل) ابتسامة جذلة ، وهو يقول :

- هل تعنى أن ... ؟

قاطعته رئيسه ، وهو يلوح بيده ، قائلاً فى ضجر :

- نعم يا (ريتشارد) .. هذا ما أعنيه .. انقذ

(لاتسلوت) ، وتخلص من ذلك الجاسوس على الفور ..

هل تحتاج لتوضيح أكثر ؟

اتسعت ابتسامة (أكسيل) ، وهو يقول :

- كلا يا سيدي .. هذا يكفينى .

وغادر الحجرة ، وهو يحمل أمراً صريحاً بالقتل ..

قتل (أدهم صبرى) ..

★ ★ ★

لمح (لاتسلوت) بطرف عينه تلك السيارة (البورش) ، وهى تعبر الطريق بسرعة ، وأدرك من النظرة الأولى ، وبحسابات عقلية سريعة ، اعتادها ويجيدها كل من عمل فى أى جهاز مخابرات فى العالم ، أنها ستعوق طريق جواد (أدهم) ، وربما صدمته فى مسارها ، وأطاحت به وبراكبه فى لحظة واحدة ..

وبمزيج من الشغف والشماتة واللهفة ، جذب (لاتسلوت) عنان جواده ، وأوقفه ، واستدار به حتى لا يفوته المشهد الرهيب ..

وفى داخل (البورش) نفسها ، لمح قائدها الجواد ، وأدرك أنه سيرتطم به لا محالة ، فصرخ فى هلع :

- ربّاه ..! سنرتطم به .

وأطلقت زوجته صرخة زعر، وهى تخفى وجهها بكفيها، فى حين برقت عينا (لاتسلوت) فى شدة، وانطلقت فى أعماقه ضحكة ساخرة شامّة، و ... وتوقفت الضحكة بغتة ..

توقفت لتتحول إلى صرخة أشبه بالقنبلة، انفجرت فى عقله وحده، مع رؤيته لما فعله (أدهم) فى اللحظة التالية ..

وكان المشهد مبهزاً بحق ..

فبدلاً من أن يجذب (أدهم) عنان جواده، ويحاول إيقافه، قبل أن تبلغه (البورش) المسرعة، لكز الجواد بقدميه فى بطنه، وهو يدفعه على نحو فنى مدروس، هاتفاً :

- هيا .. افعلها يا صديقى ..

واستجابة لتوجيهات فارسه، وبطاعة منقطعة النظر، رفع الجواد قائمته الأماميتين، ووثب وثبة رائعة، ليعبر السيارة (البورش)، فى نفس لحظة التقائهما ..

واتسعت عيون الجميع فى انبهار ..

قائد (البورش)، ومزارع عجوز، و (لاتسلوت) نفسه ..

ولكن الأخير وحده، نجح فى انتزاع نفسه من دهشته البالغة بسرعة خرافية، وجذب عنان جواده مرة أخرى، وهو يهتف :

- اللعنة !.. لقد نجا .

إلا أن ذلك الانتظار كلّفه الكثير ..

والكثير جداً ..

لقد وثب (أدهم) بجواده فوق (البورش). وواصل الإطلاق به بأقصى سرعة، لمطاردة (لاتسلوت)، الذى أضاع تلك اللحظات الثمينة، مما سمح لـ (أدهم) بالحقاق به، وهو يهتف ساخراً :

- ها نحن أولاء قد التقينا مرة أخرى يا عزيزى (لاتسلوت) .

راح (لاتسلوت) يلكر جواده فى قوة وعصبية، فى محاولة للفرار من (أدهم)، إلا أن هذا الأخير تخلى عن جواده، ووثب وثبة رائعة مذهشة، ليحيط وسط (لاتسلوت) بذراعيه، ويسقطه معه عن جواده، مستطرذاً :

- لماذا العجلة يا صديقى ؟.. دعنا نتسامر أولاً .

سقط الاثنان أرضاً فى عنف، وتدحرجا بعض الوقت، ثم هبّ (لاتسلوت) واقفاً، وهو يصرخ :

- لو أنك تتصور أنك ستقاتل غراً ساذجاً ، فأنت واهم ..
أنا رجل مخبرات سابق .
وثوب (أدهم) فى رشاقة ، وركله فى أنفه مباشرة ،
وهو يقول :

- يا للمصادفة !.. وأنا رجل مخبرات حالى .
تراجع (لاتسلوت) مع الضربة ، ودمعت عيناه من
أثرها ، فعجز عن الرؤية لحظة ، عاجله (أدهم) خلالها
بلكمة كالقنبلة فى فكه ، وهو يقول :

- وهناك فارق كبير بين الحالتين يا رجل .
ثم أعقب لكمته بأخرى كالصاعقة ، أسقطت (لاتسلوت)
فاقد الوعي للمرة الثالثة ، فابحنى (أدهم) يحمله ،
مستطرداً :

- والفارق هو أن المران المستمر أمر حتمى للانتصار
فى عالمنا هذا .

كان الجواد قد توقف ، فور وثوب (أدهم) عن متنه ،
فاتجه إليه هذا الأخير ، وألقى جسد (لاتسلوت) على
ظهره ، واتجه به فى هدوء إلى فجوة ضخمة عميقة ،
وسط السهل الممتد أمامه ، تطل عليها شجرة قوية ، وراح
يربط جسد (لاتسلوت) من قدميه ، فى غصن الشجرة
القوى ، بحيث يتدلى رأسه داخل الحفرة العميقة ، ولم يك
ينتهى ، حتى تأوه (لاتسلوت) ، وقال :



والقى جسد (لاتسلوت) على ظهره ، واتجه به فى هدوء إلى فجوة
ضخمة عميقة ..

- يا للشيطان !.. ماذا حدث ؟.. أشعر باحتقان فى وجهى .

أجابه (أدهم) فى سخرية :
- ربما لأنك تنظر إلى العالم من زاوية عسيرة بعض الشيء أيها الوغد .

انتبهه (لاتسلوت) فجأة إلى وضعه هذا ، فهتف :
- ما الذى فعلته بى بالضبط ؟
قال (أدهم) فى برود :

- خطأ يا صديقى ، سلتنى : ما الذى أتوى فعله بك بالضبط ، فالواقع أننى رجل قليل الصبر ، يروق لى أحياناً أن أنهى عمليأتى بشكل سريع أنيق ، ولقد سئمت لعبة القبط والفأر هذه ، ورأيت أن نحسم الأمور بشكل لا يقبل الجدل هذه المرة .

وانحنى نحو الفجوة ، مستطرداً فى صرامة :
- فإما أن تخبرنى من هى (جوان) هذه ، وكيف يمكننى العثور عليها ، أو أقطع الحبل الذى يربطك إلى الشجرة ، وأترك جسدك يهوى داخل تلك الفجوة ، بكل ما تحويه من نتوءات حادة قاتلة .

شعر (لاتسلوت) بخوف حقيقى ، وهو يتطلع إلى تلك البروزات الرهيبة ، فى قاع الفجوة ، ولكنه حاول كتمان خوفه ، وهو يقول :

- إنك لن تفعل هذا .

هرأ (أدهم) كتفيه ، وقال فى برود مخيف :
- لم لا تختبر هذا بنفسك ؟

ثم مال نحوه ، مستطرداً بنفس الصرامة .

- لا تخدع نفسك أيها الوغد .. أنت تعلم أن كلينا محترف ، وفى عالمنا ، ليس من حقه التنازل عن النصر ، لأنك مرهف الحس .. وبالنسبة لى ، لست سوى وسيلة للحصول على معلومات جيدة ومفيدة ، فإما أن أحصل عليها منك ، أو أقتلك بلا تردد .. أليس هذا بالضبط ما ستفعله أنت ، لو كنت مكانى ؟

وكانت هذه العبارة الأخيرة هى بالتحديد ، الوتر الذى يعزف عليه (أدهم) ..

إنه يعلم جيداً أن (لاتسلوت) ما كان ليتردد فى قتله بلارحمة ، لو تبادلوا الأدوار ، وأن طبيعته هذه تمنعه حتماً ، من إدراك أن (أدهم) يختلف عنه تماماً ، فى هذه النقطة بالذات ..

وهذا ما سيملاً نفسه بالخوف والرغبة ..

وفى حزم صارم ، اعتدل (أدهم) فى وقفته ، وقال :
- من هى (جوان) هذه ؟.. وأين تقيم ؟
صاح (لاتسلوت) فى عصبية :

- اذهب إلى الجحيم .. إنك لن تحصل منى على حرف واحد .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

- ليس فى نيتى الذهاب إلى الجحيم الآن ، ولا فى أى وقت آخر يا هذا .

ثم حلّ طرف العبل من الشجرة بجذبة قوية ، وهو يستطرد :

- ولكننى سأرسلك إليه على الفور .

انطلقت من حلق (لاتسلوت) صرخة رعب هائلة ، وجسده يهوى داخل الفجوة ، نحو الأطراف الحادة القاتلة فى قاعها :

- لا .. لا .

ولكن فجأة ، قبضت أصابع من فولاذ على قنميه ، ومنعت سقوطه فى اللحظة الأخيرة ، مع صوت (أدهم) الصارم المخيف ، وهو يقول :

- هل راقبت لك التجربة ؟

كان جسد (لاتسلوت) يرتجف فى شدة ، وكل الدماء احتككت فى وجهه ، بعد أن رأى الموت بعينيه ، منذ ثانية واحدة ، فهتف دون تفكير :

- ما الذى تريد معرفته ؟

قال (أدهم) بلهجته الصارمة القاسية ، التى تجمد الدماء فى العروق :

- من هى (جوان) ؟ .. وأين يمكننى العثور عليها ؟

قال (لاتسلوت) بسرعة ، وهو يلهث فى شدة :

- اسمها (جوان آشر) .. سيّدة أعمال أمريكية ، ومليونيرة مجتمع ، وتقيم فى قصر منيف ، فى ضواحي (نيويورك) ، وهى فاتنة ، وباهرة الحسن والجمال .
سأله (أدهم) :

- وما علاقتها بمنظمة (سناك) ؟

أجابه (لاتسلوت) فى مرارة :

- إنها الزعيمة .

تفجّر الجواب فى أننى (أدهم) واندلعت نيرانه فى عقله وقلبه فى آن واحد ..

إذن فـ (سونيا جراهام) هى الزعيمة ..

هى رأس (سناك) ..

يا لها من أفعى حقيقية ! ..

أفعى تحتضن ابنه ، وتتشبه معها فى عالم قذر ، من الدسائس والمؤامرات والخيانة والخداع ..

فى مستنقع بشرى رهيب ..

وفى رعب ، صاح (لاتسلوت) ، منتزعا (أدهم) من أفكاره :

- لقد أخبرتك بكل ما لدى .. أقسم لك .. لا تتركنى هكذا .. هيا .

تطلع إليه (أدهم) لحظة ، ثم دفعه فى قوة إلى حافة الفجوة ، وألقاه فوق العشب الأخضر المحيط بها ، وهو يقول فى صرامة :

- فليكن .. أنت بعيد عن الموت مؤقتًا ، ولكن حديثنا لم ينته بعد .

تطلع (لاتسلوت) إلى السماء ، ويدأ شئ من الارتياح فى لهاته ، وهو يغمغم :

- كلا .. أظنه قد انتهى عمليًا .

ومع آخر حروف كلماته ، التقطت أنفا (أدهم) أزيز الهليكوبتر ، التى تقترب فى سرعة ، واستدار يتطلع إليها معقود الحاجبين ، فى حين أطلق (لاتسلوت) ضحكة عصبية لاهثة ، وهو يقول :

- لقد حضر الرفاق فى الموعد المناسب .

وفى الهليكوبتر ، خفض (أكسيل) منظاره المقرب عن عينيه ، وقال للطيار :

- ها هما ذان .. (لاتسلوت) والجاسوس .

قال الطيار فى هدوء من اعتاد مثل هذه المطاردات :

- عظيم .. لقد أفادتنا التقارير فى العثور عليهما بسرعة .. والآن ليس أمامنا سوى تنفيذ الخطة .. سننقذ (لاتسلوت) ، ثم نقتل الجاسوس ، و...

قاطعها (أكسيل) بابتسامة ومسيمة :

- (لاتسلوت) سيبقى طويلًا يا صديقى .. الأسلوب الأمثل هو أن نعكس الترتيب .. فلنقتل الجاسوس أولاً ، ثم نستعيد رفيقنا السابق .

ابتسم الطيار بدوره ، وقال :

- فليكن .. هذا أكثر حكمة .

قالها ، وهو ينخفض بالهليكوبتر ، وينقض بها على (أدهم) ، الذى تعزف طراز الهليكوبتر من النظرة الأولى ، وأدرك أنها مزودة بمدفعين آليين ، فأمسك (لاتسلوت) من يافته ، وجذبه فى قوة ، ليجبره على الوقوف ، وانتزع مسدسًا من جيبه ، ألصق فوهته بصدغ (لاتسلوت) ، ولكن هذا الأخير أطلق ضحكة عصبية ، وقال :

- لو أنك تتصور أن هذا سيوقفهم ، فأنت مخطئ يارجل .. أنا أعلم من هؤلاء .. إنهم ليسوا من رجال الشرطة ، كما قد تتصور ، بل هم زملاى السابقون فى المكتب الخامس ، فتعليماتى لـ (مور) أن يتصل بهم فور

تعرض للخطر ، وهم يهرعون إلى هنا ليس لإنقاذ حياتي ،
ولكن لمنعك من الحصول على ما لدى من أسرار ، ونظرًا
لأننى عضو مخابرات سابق ، ولم تعد لى فائدة حاليًا ،
فتهديك بقتلى لن يوقفهم ، وإنما سيدفعهم إلى قتلنا معًا ؛
لأن هذا أكثر ضمانًا لعدم تسرب الأسرار .

قالتها ، وعاد يطلق ضحكة عصبية شامتة ، وطيار
الهليكوبتر يسأل (أكسيل) :

ـ إنه يهتد (لاتسلوت) .. ماذا سنفعل ؟

هز (أكسيل) كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

ـ اطلق بضع رصاصات للتحذير ، وبعدها إما أن يترك
(لاتسلوت) ، فنقتله وحده ، أو يتشبث به ، فنرسلهما فى
طرد واحد إلى الجحيم .

أطلق الطيار ضحكة مرحة ، وكأنما قال (أكسيل) دعابة
طريفة ، ثم ضغط زر الإطلاق ، فى عصا القيادة ..
وانطلقت الرصاصات ..

انطلقت فى شريط متصل ، على مسافة نصف المتر من
(أدهم) و (لاتسلوت) ، فجعل الجوادان ، وأطلقا صهيلًا
قويًا ، امتزج بصرخة (لاتسلوت) :

ـ هل رأيت ؟

وأدرك (أدهم) أن (لاتسلوت) كان على حق ، وأن
رفاقه لن يترددوا فى قتله دون رحمة ، مادام هذا يحفظ
أسرارهم ، الذين يتصورون أنه اختطف رجلهم السابق من
أجلها ، فدفع (لاتسلوت) بعيدًا فى عنف ، وانطلق يعدو
نحو الجواد الأسود بأقصى سرعة ..

وفى الهليكوبتر ، مط (أكسيل) شفتيه فى أسف ،
وهو يقول

ـ لقد ترك (لاتسلوت) .

غمغم الطيار ساخراً :

ـ يا للخسارة !

ثم اندفع خلف (أدهم) ، مستطردًا فى جنل :

ـ ولكننا سنظفر بأحدهما على الأقل .

وأطلق رصاصات الهليكوبتر مرة ثانية ..

وفى هذه المرة ، أصابت الرصاصات الأرض ، خلف
قدمى (أدهم) بسنتيمترات قليلة ، قبل أن يشب على متن
الجواد ، هاتفا :

ـ هيا يا صديقى .. مهمتك شاقة هذه المرة .

أطلق الجواد صهيلًا عصبياً هذه المرة ، ولكنه أطاع
فارسه ، وانطلق بكل قوته نحو المدينة ، التى بدت أبعد من
الواقع كثيرًا ، و (لاتسلوت) يصرخ كالمجنون ، وهو يقاوم
قيوده فى شراسة :

- اقتلوه .. اقتلوه يا رفاق .

وقال (أكسيل) فى سخريه :

- ما الذى يفعله هذا الساذج ؟.. هل يتصور أنه سيمسك

هليوكوبتر كهذه بجواد عادى ؟

ثم لكز الطيار ، مستطرذا فى مرح :

- دعنا نثبت له أنه أحقق يارجل .

ابتسم الطيار ، وقال :

- عشرة جنيهات على أنتى أستطيع إصابته فى

منتصف ظهره مباشرة .

قال (أكسيل) :

- اجعلها عشرين جنيهًا ، وأطلق النار على منتصف

رأسه .

هتف الطيار :

- فليكن .. إنه أسهل رهان ربحته فى حياتى .

وانخفض بالهليوكوبتر فى مهارة ، ثم اندفع بمحاذاة

الأرض نحو (أدهم) ، وقال ساخرًا :

- قل وداعًا للحياة أيها الجاسوس .

وأكدت له شاشته أنه يصوب نحو منتصف رأس

(أدهم) تمامًا ، فالتقط نفسًا عميقًا ، وكتب أنفاسه ، و...

وضغط الزناد .

★ ★ ★

٨ - مذاق الدم ..

أطلت نظرة حاتية من عيني المربية ، وهى تتحسس

شعر الصغير فى رقة ، فابتسم لها فى سعادة ، وراح

يضحك فى مرح ، وهى تداعبه ، قبل أن تغمغم فى أسى :

- ممكن أنت يا صغيرى .. روحك البرينة لا تجد من

يشبعها ، فأملك تتجاهلك ، وتقضى معك أقل القليل من الوقت ،

وتتحدث معك دومًا عن مقتها لوالدك ، ورغبتها فى الانتقام

منه ، وكأنما تلوث فطرتك السوية بمذاق الدم الوحشى .

ثم ضمته إلى صدرها فى حنان ، متابعة :

- لماذا كان القدر قاسيًا ، فمنحك أمًا كهذه ؟.. وكيف

اختارها والدك ؟

تطلع إليها الصغير فى حيرة ، ثم عاد يبتسم ، وكأنه

يدعوها لمعاودة المداعبة ، ولكنها تنهت فى حزن ، وهى

تتابع :

- لو أن الأمر بيدي ، لحملتك ورحلت عن هنا ، ولما

تركتك بين يدي تلك المتوحشة قط .. إنها تسعى لتحويلك

إلى وحش مفترس ، يبغيض أباه ويمقتة ، وربما يسعى فى

المستقبل لقتله ، أو ...

قاطعتها صوت قاس ، يقول :

- إذن فأنت تتجسسين على .

انتفضت المربية فى ارتياح ، واستدارت إلى (سونيا)
فى زعر ، وهى تضم إليها الصغير فى قوة ، جعلته يطلق
صرخة دهشة وألم ، والمربية تهتف :

- سيدتى .. إننى ...

قاطعتها (سونيا) فى صرامة :

- أنت خائنة قذرة .

ثم انتزعت منها الطفل فى عنف ، هاتفة :

- اتركى ولدى .

صرخ الصغير فى فزع ، مع تلك الانتزاعة القاسية ،
وانفجر باكيا فى قوة ، وهو يمد يديه الصغيرتين إلى
مربيته ، وكأنما يستجد بها ، ولكن (سونيا) دفعته فى
غلظة إلى واحدة من خادمتها ، قائلة :

- أعيديه إلى حجرته .

حملت الخادمة الصغير إلى حجرته ، وهو يصرخ
ويبكي ، فى حين امتقع وجه المربية المسكينة فى شدة ،
وهى تقول :

- سيدتى .. إننى أعذر ، و ...

قاطعتها (سونيا) فى صرامة قاسية :

- لحساب من تعملين ؟

قالت المربية فى ارتياح :

- لحساب من؟! .. لحسابك أنت بالطبع يا ممز (آثر).

اتعقد حاجبا (سونيا) فى شدة ، وهى تقول :

- ما الذى تعلمينه من أصرارى ؟

شحب وجه المربية المسكينة ، حتى صار أشبه بوجوه

الموتى ، وهى تقول :

- ماذا تقولين يا ممز (آثر) ..؟ إننى أجهل ما تتحدثين

عنه .. لقد سمعتك بالمصادفة البحتة ، وأنت تتحدثين مع

الصغير عن والده ، ولم أتعمد ..

قاطعتها (سونيا) :

- بالمصادفة البحتة؟! .. جواب سخييف يصعب

تصديقه .. وخاصة مع امرأة مثلى ، لا تؤمن كثيرا

بالمصادفات .

هتفت المربية فى انهيار :

- إنها الحقيقة يا ممز (آثر) .. أقسم لك .

أومأت (سونيا) برأسها متفهمة ، وقالت :

- ربما كانت كذلك بالفعل .

ثم هزت كتفيها ، مستطردة فى لامبالاة :



وبحركة مباغتة سريعة ، دفعت المربية نحو حوض السباحة ،
فأطلقت هذه الأخيرة صرخة دعر ..

- ولكن ما الداعي للمخاطرة .
هو قلب المربية بين قدميها ، وهي تقول :
- ماذا تعنين يا مسز (آرثر) ؟
ارتسمت على شفتي (سونيا) ابتسامة مخيفة ، وهي
تقول :

- لا عليك يا عزيزتي .. لا تقلقى نفسك بكل عبارة
أنطقها .. ولكن أخبريني .. ألم تعلمنى سابقاً أنك كنت بطلّة
من أبطال السباحة ؟

قالت المربية فى دهشة بالغة :
- أبطال السباحة ؟! .. مستحيل أن أقول هذا يا مسز
(آرثر) ، فأنا لا أعرف السباحة قط .
تأليقت عينا (سونيا) ، وقالت :
- عظيم .

وبحركة مباغتة سريعة ، دفعت المربية نحو حوض
السباحة ، فأطلقت هذه الأخيرة صرخة دعر ، قبل أن تسقط
فى الحوض ، وتغوص فى أعماقه لحظة ، ثم تبرز على
السطح ، صارخة فى رعب :
- النجدة يا مسز (آرثر) .. أنا لا أعرف السباحة ..
سأغرق حتفا .

ابتسمت (سونيا) فى سخرية ، وقالت :

- حقا! كم سيحزننى هذا ؟

وأشعلت سيجارتها فى هدوء ، ووقفت تراقب مربية صغيرها ، التى تصرخ مستجدة ، وتغوص وتطفو ، حتى انهارت مقاومتها ، وغاص جسدها للمرة الأخيرة فى حوض السباحة ، فنفتت (سونيا) دخان سيجارتها ، وقالت ساخرة :

- يا للمسكينة !

واتجهت فى هدوء عجيب إلى حجرة مكتبها ، المظلة على حوض السباحة ، والنقطت سماعه الهاتف ، وطلبت رقم دائرة الشرطة . ولم تكد تسمع محدثها ، حتى هتفت بصوت متباك :

- (فيليب) النجدة يا (فيليب) .. لقد غرقت (أنيتا) .. نعم .. مربية ابنى الصغير .. يبدو أنها تعثرت وسقطت فى حوض السباحة ، فلقيت حبلها غرقا .. إنه مشهد بشع .. أسرع يا (فيليب) .. أسرع بالله عليك .

وانتهت المحادثة وهى تبتسم فى سخرية ، مستطردة :
- معذرة يا عزيزتى (أنيتا) .. ولكن صدقيني .. لماذا المخاطرة ؟

كانت تسحب نفسها عميقا من سيجارتها ، عندما اندفع إليها (تونى) ، هاتفا :

- سيدتى .. لقد عثرت عليه .

برقت عينا (سونيا) فى شدة ، وتبخر من عقلها فى لحظة واحدة ، كل ما يخص (أنيتا) المسكينة ، وهى تهتف :

- عثرت عليه ؟!

أجابها فى انفعال :

- نعم يا سيدتى .. لقد فقد وعيه فى أحد الشوارع الجانبية ، وعثرت عليه واحدة من دوريات الشرطة ، وكان مصابا برصاصتين ، واحدة فى ذراعه اليسرى ، والأخرى فى فخذه اليمنى ، وبه آثار تسمم واضحة ، ولقد نقله الشرطيان على الفور إلى مستشفى (بروكلين) ، حيث تم عمل غسيل معدة له ، واستخرج الأطباء الرصاصتين ، وهو يرقد الآن فى الحجرة رقم تسعة ، تحت حراسة مشددة من رجال الشرطة ، تمهيدا لاستجوابه ومحاكمته .
أطفأت سيجارتها فى عصبية ، وهى تقول :

- لن يجدوا وقتا لهذا .

سألها (تونى) فى لهفة :

- بم تأمرين يا سيدتى ؟

ضربت سطح مكتبها بقبضتها ، وهى تقول فى حزم :

- لا بد وأن يموت هذا الرجل .

ورفعت عينيهما إلى (توني) مستطردة في حدة :
- الليلة .

ابتسم (توني) ابتسامة واسعة ، وكأنما راق له الأمر ،
وقال :

- سمعا وطاعة يا سيدي .

وغادر القصر لتنفيذ الأمر ، في نفس اللحظة التي وصل
فيها رجال الشرطة ..

وكان من الواضح أنها ستكون ليلة طويلة ..
طويلة للغاية ..

★ ★ ★

عندما ضغط قائد الهليكوبتر زر إطلاق النيران ، في
طرف عصا القيادة ، كان واثقا تمام الثقة من أنه -
كمحترف - لن يخطئ أبدا إصابة الهدف ، خاصة وهو يطير
على هذا الارتفاع المنخفض ، بمحاذاة (أدهم) تقريبا ،
وأجهزة التصويب الإلكترونية لديه تشير إلى أن رأس
الهدف في موضع التصويب تماما ..
ولكن للقدر دوره ..

وفي بعض الأحيان ، يروق للقدر أن يسهب دور
البطولة ، في أي موقف يختاره . على مسرح الحياة ..
وهذا ما فعله ..

ففي نفس اللحظة ، التي ضغط فيها الرجل زر الإطلاق ،
كان (أدهم) يجذب عنان جواده جانباً ، وينحرف به عن
مساره الطبيعي ..

وطاشت الرصاصة ..

وفي مزيج من السخرية والشماتة ، قال (أكسيل) :
- أخطأت الهدف .

عقد الطيار حاجبيه ، وقال في حدة :

- لقد رأيت بنفسك كيف تحرك في اللحظة الأخيرة ، و ..
بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه في شدة ، وهو
يهتف .

- ما الذي يفعله بالضبط ؟

كان (أدهم) قد استدار نصف دورة كاملة بجواده ،
وانطلق به في آخر اتجاه يمكن أن يخطر لهم ..

نحو الهليكوبتر مباشرة ..

وفي دهشة بالغة ، هتف الطيار :

- إنه يهاجمنا .

قال (أكسيل) بذهول ، لا يخلو من نبرة مستنكرة :

- بجواد ؟

ثم استدرك في سرعة :

- أطلق النار يا رجل .. اسحقه سحقاً .

ولكن الطيَّار جذب عصا القيادة بحركة غريزية، عندما رأى (أدهم) ينطلق نحوه، على مسافة مترين تقريباً، فارتفعت الهليكوبتر بحركة حادة، و (أكسيل) يصرخ :
- قلت لك : أطلق النار .

تجاهل الطيَّار هذا الأمر تماماً، وهو يرتفع بالهليكوبتر أكثر وأكثر، وكأنما يفر من شبح مخيف .. لم يكن يدرى لماذا تفجَّر الفزع في أعماقه على هذا النحو المبالغ، بعد أن ظلَّ يسخر من الأمر كله طوال الوقت ؟؟ ..

ولكن شيئاً ما في أعماقه أنبأه بأن هذا الرجل، الذي يندفع بجواده نحو طائرة هليكوبتر مقاتلة، بكل هذه الجرأة، هو حتماً رجل غير عادي ..
رجل من طراز خاص ..
ومخيف ..

وعلى الرغم من ارتفاع الهليكوبتر، صاح (أدهم) بجواده، وهو يدعوهُ إلى التفرُّج :
- هيا يا صديقي، ارتفع إلى أقصى ما يمكنك .
ووثب الجواد الأسود القوي ..
وثب كما لم يفعل من قبل، وكأنما يطيع أوامر فارسه، الذي يختلف عن كل من امطَّوه من قبل ..

وأضاف (أدهم) وثبة أخرى، عندما دفع جسده إلى أعلى، متخلياً عن الجواد، ومتشبهاً بالقائم السفلى للهليكوبتر ..

وفي فزع شديد، صرخ الطيَّار :
- لقد أمسك بنا .

هتف (أكسيل) مشدوهاً :
- أمسك بنا ؟؟ .. في هذا الارتفاع ؟؟ .. هل جننت يا رجل ؟
أدهشه أن أخذ الطيَّار يرتجف على نحو عجيب، وهو يردد :

- أمسك بنا .. لقد شعرت به .
اتعقد حاجباً (أكسيل) في شدة، ثم انتزع مسدسه، وصوبه إلى أرضية الهليكوبتر، وراح يُطلق النار في عصبية، فصاح به الطيَّار :
- ماذا تفعل بالله عليك ؟

صاح (أكسيل) :
- أقتله .. لو أنه تعلَّق بالهليكوبتر .
شحب وجه الطيَّار في شدة، وهو يقول :
- إنه .. إنه هنا .

اعتدل (أكسيل) في حركة حادة، وحذق في (أدهم) بذهول، وهو يثب داخل الهليكوبتر، قائلاً في سخرية :

قفز (أكسيل) خارج الهليكوبتر، التى تدور حول نفسها، على ارتفاع متر واحد من الأرض، فالتفت (أدهم) إلى الطيار، وقال :
- دورك يا صديقى .

حل الطيار حزام مقعده على الفور، وهو يقول :
- ولكن من السهل تعقب طائرة هليكوبتر، فى سماء (لندن) .. لم يمكنك أن تذهب بعيدا .

قال (أدهم) فى هدوء :
- أشكرك على النصيحة .. والآن اقفز .

وثب الطيار خارج الهليكوبتر، فاحتل (أدهم) مقعده فى سرعة، ولوح بيديه، قائلا :

- إلى اللقاء أيها الزملاء .. أتمنى لكم حظا أفضل، فى المرات القادمة .

وختم عبارته بضحكة ساخرة عالية، وهو يرتفع بالهليكوبتر، وينطلق بها نحو المدينة، فصاح (أكسيل) غاضبا :

- سأعثر عليه، ولو كان هذا آخر ما أفعله، فى حياتى كلها .

أتاه على مقربة صوت (لاتسلوت)، يقول فى عصبية :
- من الأفضل أن تفعل، وإلا خسرنا الكثير .

- معذرة .. هل أزعجكما وجودى ؟
أدار (أكسيل) فوهة مسدسه نحو (أدهم) فى سرعة مذهشة، تناسب محترفا مثله، ولكنه فوجئ بضربة سريعة من كف (أدهم)، تتجاوز ضعف سرعته على الأقل، تطيح بمسدسه، ثم شعر بلكمة كالقنبلة تنفجر فى فكه، مع صوت (أدهم) الساخر، وهو يقول :
- خطأ يا رجل .. ألم تنبهك أمك إلى خطورة العبث بالألعاب النارية ؟

دار رأس (أكسيل) فى شدة، فى حين راح جسد الطيار يرتجف، وهو يقول متضرعا :

- سأطيع كل أوامرك .
قال (أدهم) فى هدوء :

- دعنا نختبر هذا .. هيا .. اهبط إلى ارتفاع متر واحد .
أطاعه الطيار على الفور، فاتحنى (أدهم) يلتقط مسدس (أكسيل)، وصوبه إلى هذا الأخير، وهو يبتسم فى هدوء، قائلا :

- اقفز أيها الزميل .
قال (أكسيل) فى غضب :

- إنها ليست نهاية المطاف .. سنلتقى مرة ثانية حتما .
دفعه (أدهم)، قائلا :

- سيسعدنى هذا .

التفت (أكسيل) إلى (لاتسلوت)، الذى تخلص بالكاد من قيوده، وهو يستطرد فى حنى :

- هذا الرجل يعرف الكثير الآن، ووجوده على قيد الحياة يمثل لنا خطورة شديدة .

قال (أكسيل) فى حدة :

- ولماذا أخبرته بهذا الكثير يا (لاتسلوت) ؟

عقد (لاتسلوت) حاجبيه، وقال :

- لقد حققتى بمصل الحقيقة .

هتف (أكسيل) :

- حقاً؟! لماذا لا تبدو عليك أعراضه إذن ؟

صاح به (لاتسلوت) :

- أتظننى كاذباً يا (أكسيل) ؟

صرخ (أكسيل) فى وجهه غاضباً :

- بل أفنك لم تعد صلباً كالأيام الخوالى يا سير

(لاتسلوت) .

صاح (لاتسلوت) :

- وأنت لم تعد مهذباً يا (ريتشارد) .

كادا يشتبكان فى مشاجرة كلامية طويلة، لولا أن

استوقفهما الطيار، قائلاً فى عصبية :

- معذرة أيها السيدان، ولكن هل ستكتفيان بالمشاجرة، وتتركان هذا الجاسوس يفر .

انتبها إلى سخافة ما يفعلانه، فتطلع كل منهما إلى الآخر لحظة، ثم انتزع (أكسيل) من ثيابه جهاز اتصال صغير، وقال عبره :

- من (٦٠٧) إلى القيادة .. الهدف نجح فى الفرار،

وسرق النمر الصغير، وهو يحمل الآن الكثير من الخلايا الرمادية .

كانت شفرة بسيطة، تشرح الموقف كله فى كلمات

موجزة، أجاب عليها رئيس (أكسيل)، قائلاً :

- هذا يعنى أن العملية أصبحت أكثر خطورة .

قال (أكسيل) :

- لهذا أطلب تطوير العملية، ووضعها فى الخانة (أ)،

مع علامتى زائد .

صمت رئيسه لحظة، ثم قال :

- هذا يعنى أنها عملية من الدرجة الأولى .

أجابه (أكسيل) فى حزم :

- هذا ما أقصده بالضبط .

صمت رئيسه لحظة أخرى، ثم أجاب :

- فليكن يا (ريتشارد) .. سأطلق صفارة الإنذار الكبرى، ولننطلق جميعاً في أعقاب الجاسوس .
وعندئذ ابتسم (لاتسلوت) في ظفر، إذ كان هذا يعنى أن على (أدهم) أن يواجه أكبر وأضخم وأقوى أجهزة الأمن فى (انجلترا) مجتمعة ..
وربما يعنى هذا أنه سيواجه (انجلترا) كلها ..
وبلا هوادة .

★ ★ ★



٩ - الوحوش ..

انتفض جسد (منى) انتفاضة مباغثة، وهى تستعيد وعيها دفعة واحدة، بعد فترة طويلة من الغوص فى غيبوبة عميقة ..

ومع انتفاضتها، فتحت عينيها عن آخرهما، وحذقت فى المكان المحيط بها فى دهشة كبيرة ..

كانت داخل ما يشبه مخزنًا قديمًا للقلال، تفوح فيه رائحة القمح الطازج، وأتربة الحقول المسمدة، وأمامها يجلس رجل ضخم الجثة، استقبلها باهتمام صفرى بغيضة، كشفت عن أسنانه القنطرة غير المنتظمة ..

وكانت مقيدة إلى مقعد معدنى ثقل، وسط المخزن تمامًا، وخلفها أصوات رجال يتحدثون، أشار إليهم صاحب الأسنان القنطرة، قائلاً :

- لقد استيقظت .

سمعت وقع أقدام ثقيلة تقترب منها، ثم برز أمامها (أنطونيو لويجي)، صاحب ذلك المطعم الصغير، الذى يتلقى المعلومات الواردة للمنظمة، وتطلع إليها لحظة فى صمت، ثم قال :

- كنت أظنك أكثر قوة، ولكنك استغرقت ست ساعات كاملة، للخروج من غيبوبتك .

ازدردت لعابها؛ للسيطرة على أعصابها، وقالت في سخرية :

- ربما كنت أخشى الاستيقاظ، حتى لأرى وجوهكم البغيضة .

لم يبد عليه أدنى اهتمام بعبارتها، وهو يشعل سيجارته، ويقول :

- لعلك تتساءلين : لماذا لم نقتلك على الفور ؟
قالت متهمكة :

- هذا السؤال لم يدر بخلدی قط .

تابع وكأنه لم يسمعها :

- الحقيقة أنك أثرت دهشتي بشدة، بتلك المهارة التي تتمتعين بها، وخبرتك الواضحة في أساليب الخداع والقتال، حتى أنني سألت نفسي : إلى أية جهة تنتمين بالتحديد ؟

قالت ساخرة :

- مادمت أهتم بك، فأنا أنتمى حتمًا إلى جمعية الرفق بالحيوان .

تجاهل تعليقها مرة أخرى، واستطرد :



وكانت مقيدة إلى مقعد معدني ثقيل، وسط المخزن تمامًا ..

- الشيء الوحيد المؤكد ، هو أنك تلقيت تدريبات عالية المستوى ، يفوق ما يمكن أن تتلقاه فتاة عادية ، من فتيات الشرطة ، كما أنك مصرية ، وهذا يعنى أنك تنتمين - على الأرجح - لجهاز أمنى دولى .

ثم مال نحوها ، مستطردًا :

- كالمخابرات المصرية مثلاً .

قالت بابتسامة ساخرة :

- هل ألهب كفى بالتصفيق ، أم ألثت مبهورة ؟

هز رأسه نفياً ، وقال :

- لا هذا ولا ذاك .

رفعت حاجبيها بدهشة مصطنعة ، وهتفت :

- عظيم .. تقدم لا بأس به .. إنك لم تتجاهل قولى هذه

المرة .

رمقها بنظرة صارمة صامتة ، فتابعت ساخرة :

- هذا يبشر بالخير .. ربما أمكنك ترديد اسمى فى المرة

القادمة ، فتصبح أكثر شبيهاً بالحيوانات المدربة .

قال مساعده (تينو مارشيللو) فى برود :

- دعها تسخر ما شاء لها أيها الزعيم ، فستبكى

وتصرخ طويلاً ، عندما يصل (مورتى) .

قالت (منى) :

- ومن (مورتى) هذا .. وحيد قرن آخر ؟!

أجابها (لويجى) فى هدوء :

- (ألدو مورتى) ؟ .. لا .. إنه ليس وحيد قرن آخر ، بل

هو أستاذ فى فن انتزاع المعلومات ، وخبير فى مهنته ،

إلى الحد الذى جعلهم يقولون عنه : إنه قادر على إجبار

التماثيل الأثرية على الإفصاح عن تاريخها كله .

أطلقت ضحكة ساخرة ، وقالت :

- لدينا فى (مصر) دعاية شبيهة بهذا .

مال (لويجى) نحوها مرة أخرى ، وقال :

- والآن يا عزيزتى ، ماذا تفضلين ؟ .. هل تبلغيننى كل

ما لديك الآن ، أم نترك عملية انتزاع المعلومات هذه

لصديقنا الرقيق (مورتى) .

سألته (منى) :

- قل لى .. أهو وسيم (مورتى) هذا ؟

فجأة ، هوى (لويجى) على وجهها بصفعة قوية ،

أعقبها بأخرى أكثر قوة ، قبل أن يصرخ فى وجهها .

- لقد سمعت هذا .. إنك تسخرين طوال الوقت : لإخفاء

الخوف والرعب ، اللذين انبعثا فى أعماقك ، وهذا أسلوب

معروف ، ولكننى أمقتك كثيراً .

اعتذلت (منى) ، وتركت خيط دم رفيع يسيل من طرف شفثتها ، وهى تقول :

- يا لك من رجل عصى مهذب !.. هل تشعر بالقوة والثقة ، عندما تضرب امرأة ؟

قال فى صرامة :

- بل أشعر بهما أكثر عندما أخنقها .

قال ساخرة :

- ألا تستعين بـ (مورتى) هذا ؛ ليخنقها بدلاً منك ؟

عقد حاجبيه لحظات ، ثم قال :

- أنا أيضاً أجيد بعض الأشياء .

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد :

- وربما استعرضتها معك ، إذا ما فشلت مفاوضاتنا .

سألته :

- أية مفاوضات ؟

جذب مقعداً ، وجلس أمامها مباشرة ، وهو يجيب :

- محاولات إقناعك بالاعتراف بكل ما لديك .. إنه أمر بسيط للغاية ، ولن يجشمك مشاق التعامل مع (مورتى) الجزار .. هذا ما نطلقه عليه .. ثم إننا سنتعاون فى هذا الشأن .. أنت تتحدثين ، وأنا أستمع ، و (مارشيللو) يسجل اعترافاتك .. هل رأيت ؟.. لن نضع المهمة كلها على عاتقك .

قالت فى سخرية :

- يا لشعورك المرهف !

تراجع فى مقعده ، وهو يقول فى صرامة :

- أما لو واصلت سخريتك وعنادك ، فلن أنتظر وصول (مورتى) ، بل سأستعرض مواهبى على الفور .

قالت بسرعة :

- إننى أعترف بها .. لك موهبة فذة ، فى إثارة اشمزاز وازدراء الآخرين .

اتعقد حاجباه فى شدة هذه المرة ، وهو يقول :

- إذن فهذا يعنى أنك ترفضين الاعتراف المباشر .

أطلقت ضحكة ساخرة أخرى ، وقالت :

- سأكون أغبى امرأة فى العالم ، لو اعترفت بهذه البساطة .. أنت وأنا ندرك ما يعنيه اعترافى ، فبمجرد حصولك على ما لدى ، تصبح حياتى عديمة القيمة ، ولن تجد سبباً منطقياً للإبقاء عليها .

هز كتفيه ، وقال :

- الموت السريع أفضل من الحياة مع عذاب مستمر .

قالت بسرعة :

- سأحتمل العذاب .

مط شفثته ، وقال :

- هذا ما تتصورينه .

ثم التفت إلى (مارشيللو) ، مستطرذا :

- احضر الموقد .

برقت عينا (مارشيللو) فى جذل ، وهب من مقعده ،

قائلًا :

- سمعًا وطاعةً أيها الزعيم .

بدأ القلق يتسلل إلى أعماقها ، و (لويجى) يقول :

- قبل أن تتساعلى عن مواهبى ، التى أتحدث عنها ،

ينبغى أن تعلمى أن الشيء الذى أجيدته ، فى الدنيا كلها ،

هو الطهى .

قالت :

- لهذا افتتحت مطعمًا .

قال فى حماس :

- تمامًا .

ثم استطرذ فى اهتمام بالغ :

- وأفضل ما يمكننى طهيه هو أقراص (الهامبورجر)

الأمريكى .. إنها الوجبة التى منحت مطعمى شهرته .

ومال نحوها ، متابعًا فى حماس حقيقى :

- هل تعلمين كيف تصنعين أفضل أقراص (هامبورجر) ؟

تطلعت إليه فى صمت ، والقلق فى أعماقها يتضاعف

ويتضاعف ، وهى تتساعل عما يعنيه بحديثه هذا ، وهو

يقول ، دون أن ينتظر منها جوابًا ، أو حتى تساؤلًا حائرًا :

- فى البداية ، نصنع الأقراص نفسها ، ولا تسألينى

كيف ، فالسر كله يكمن فى جودة الخلطة المستخدمة ،

وهى سر الصنعة ، ولا يمكننى أن أخبرك أى شيء عنه .

قالت متهمكة :

- ولا حتى نوع الكلاب المستخدمة ؟؟

لم يبد عليه حتى أنه سمعها ، وهو يتابع بشغف

عجيب :

- وبعد هذا نأتى بلوح من الصاج ، ونرشه بقليل من

الزيت ، ونوقد النار تحته ، حتى يغلى الزيت تمامًا ، و ...

صنعت لحظة ، ثم قال فى تلذذ :

- نضع أقراص (الهامبورجر) .

سرت فى جسدها قشعريرة عجيبة ، عندما بلغ هذه

النقطة ، وتحولت هذه القشعريرة إلى ارتجافة خفية ،

عندما عاد (مارشيللو) حاملًا الموقد ، وهو يقول فى

جذل :

- ها هو ذا .

وضع (لويجى) الموقد أمامها ، وفوقه لوح الصاج ، ثم

أشعله ، وراح يرش الزيت فى مهارة فوق اللوح ، وهو يقول :

- مستر (بورساليانو) .. ما هذا الذي تطلبه منى هذه المرة ؟

أجابه (تونى) فى هدوء :

- إنه لا يختلف كثيرًا عما أطلبه منك فى كل مرة يا عزيزى (جونز) ، مع فارق واحد ، وهو أنك ستحصل على مكافأة مضاعفة هذه المرة .

هتف (جونز) فى عصبية :

- هل تمزح ؟.. ألا تدرك خطورة الموقف ؟!.. إنك تطالبنى بالذهاب إلى المستشفى ، ودخول حجرة ذلك الشاب ، متجاوزًا طاقم الحراسة ، وقتله ، ثم الخروج بكل هدوء !!.. ألا تظن أنني أول من ستتجه إليه أصابع الاتهام ، فى هذه الحالة ؟

هز (تونى) كتفيه ، وقال فى برود :

- ولماذا تتجه إليك ؟

صرخ (جونز) :

- لماذا ؟!.. يا له من سؤال !

ثم خفض صوته بسرعة ، مستطردًا فى انفعال :

- سأكون آخر من رآه حيًا يا رجل .. ألا تفهم هذا ؟

ابتسم (تونى) ، وقال :

- المهارة تكمن فى وضع الأقراص لفترة مناسبة ، بحيث تصبح ناضجة تمامًا ، دون أن تحترق أطرافها .
وفجأة ، انقضت عليها الضخم ، صاحب الأسنان الصفراء ، وحل قيود معصمها ، ثم أمسك يديها فى قوة ، وهو يطلق ضحكة مقبئة ، و (لويجى) يستطرد فى صرامة :

- كما سنفعل بيدك الجميلتين .

شهقت على الرغم منها فى دعر ، ولكنه استطرد فى قسوة :

- راقبى الزيت جيدًا يا فتاتى ، فما إن يبدأ فى الغليان ، حتى نشوى راحتك ، حتى تفوح منهما رائحة الشواء الشهى .. استعدى .

كادت تصرخ فى رعب ، وعيناها تحدقان فى الزيت ، والجميع من حولها يحملون ابتسامة واحدة مخيفة ..
ابتسامة الوحوش ..

★ ★ ★

امتقع وجه المفتش (جونز) فى شدة ، وهو يتطلع إلى (تونى) فى استنكار عصبى ، وارتجفت أصابعه وهو يحاول إشعال سيجارته ، ونفت بخانها فى توتر بالغ ، وهو يقول :

- لا تجعل هذا يقلبك .. لقد أعدنا الأمر بكل دقة .. إنك ستذهب لرؤية هذا الشاب ، بصفتك أحد رجال الشرطة ، الذين قاتلوه مباشرة ، وعندما تصبح وحدك في حجرته ، ستحقنه في أوردته مباشرة ، بكمية من الهواء تكفى لقتل فيل ، وفي هذه الحالة يكون سبب الوفاة الطبى هو سكتة قلبية مباغتة .. من سيحك في أنها مفتعلة ، مع كل إصاباته هذه .

ارتجف (جونز) ، وهو ينفث سيجارته ، قائلاً :

- وماذا لو رأتى أحدهم ؟

قال (تونى) فى هدوء :

- ومن يراك فى حجرة مغلقة ؟

مال (جونز) نحوه ، وقال فى عصبية :

- لو أن الأمر بهذه البساطة ، فلم لا تقتله أنت ؟

عقد (تونى) حاجبيه ، وقال :

- لقد حاولت .

نظر إليه (جونز) فى دهشة ، فتابع بسرعة :

- ولكننى وجدت حراسة مشددة على حجرته ، فقلت

لنفسى : (جونز) وحده يمكنه تجاوز نطاق الحراسة هذا ؛ لأنه رجل شرطة .

تراجع (جونز) ، وراح ينفث دخان سيجارته لحظات فى عصبية ، ثم سأل فى توتر :

- وكم المكافأة هذه المرة ؟

أشار (تونى) بأصابع يده كلها ، وهو يبتسم ، قائلاً :

- خمسة آلاف دولار .

تطلع إليه (جونز) لحظة ، وقال :

- إنها لا تكفى .

عقد (تونى) حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

- لقد أصبحت جشعاً ، فى الآونة الأخيرة يا (جونز) .

قال (جونز) فى عصبية :

- إننى أخاطر بمستقبلى كله هذه المرة .

تطلع إليه (تونى) طويلاً فى صمت ، ثم قال :

- حسن .. كم تطلب ؟

أجابته بسرعة ، وكأنما أعذ الجواب مسبقاً :

- عشرة آلاف دولار .

ازداد انعقاد حاجبى (تونى) فى شدة ، وقال :

- كان ينبغي أن أرفض هذا المبلغ المبالغ يا (جونز) ،

ولكن من حسن حظك أننا نولى هذه العملية أهمية بالغة ..

فليكن .. ستحصل على ما طلبت .

تألفت عينا (جونز) فى ظفر ، وهو ينهض قائلاً :

- وأنا سأنفذ العملية على الفور يا مستر
(بورساليانو) .

واندفع مغادرًا المكان ، وقد استحال ترنّده واستنكاره
إلى حماس شديد ، فمطّ (توني) شفّتيه في ازدياء ، وهو
يقول :

- يا للحقارة !

ثم التقط سماعة الهاتف ، وطلب رقم (سونيا)
الخاص ، ولم يكذ يسمع صوتها ، حتى قال :

- (جونز) سيؤدى المهمة يا سيّنتى .. الآن على
الفور .. وسيحصل على نفس المبلغ المعتاد .. عشرين
ألف دولار .. بالتأكيد يا سيّنتى .. سأخبرك فور انتهاء
التنفيذ .

وفى نفس اللحظة ، التى أنهى فيها المحادثة ،
كان (جونز) ينطلق بسيارته نحو المستشفى ، وهو يتحدّث
إلى نفسه فى حماس ، قائلاً :

- يا للحظ الحسن ! .. إنها صفقة رابحة بكل المقاييس ..
سأقتل ذلك الوغد ، الذى حطّم أنفى فى الإدارة ، وأحصل
على عشرة آلاف دولار أيضًا .

التقط نفسًا عميقًا ، وراح يطلق صفيّرًا منغومًا من بين
شفّتيه ، وقد زال توتره كله ، مع حماسه الجديد ، حتى بلغ
المستشفى ، فأوقف سيارته فى هدوء ، وصعد إلى الحجرة
رقم تسعة ، وابتسم فى وجه طاقم الحراسة الواقف
أمامها ، وهو يقول فى مرح :

- كيف حالكم أيها الرجال ؟ .. هل يسير كل شيء على
ما يرام ؟

أجابوه بابتسامة معاتلة :
- نعم أيها المفتش .. لم نواجه أية متاعب حتى الآن .
أشار إلى الحجرة ، وهو يسأل :
- هل استعداد الرجل وعيه ؟
هزّ أحدهم رأسه نفيًا ، وقال :
- لا .. ليس بعد .

أومأ برأسه متفهمًا ، ثم قال بلهجة توحى بالاهتمام :
- أهو الرجل نفسه ، الذى هاجمنا فى الإدارة .
قال أحدهم فى حذر :
- ومن يكون سواه ؟
قال (جونز) فى حدة :

- من يكون سواه ؟! .. يا له من سؤال ! .. أهذه هى
القاعدة الوحيدة ، التى بنيتم عليها قضيتكم ؟! .. ألم يتحقق
أى شخص من هويته ؟

ارتبك رجال الحراسة ، وقال أحدهم :

- عندما يستعيد وعيه منه ...

قاطعه (جونز) :

- عندما يستعيد وعيه !؟.. ولم لا يحدث هذا الآن ؟

ثم اتجه إلى الحجرة ، ودفع بابها ، مستطرذا :

- نظرة واحدة إلى وجهه ، تكفيني لحسم الأمر .

اتجه أحدهم إليه ، ولكنه استوقفه بإشارة حاسمة ،

وقال في لهجة أمرة صارمة :

- أستطيع حماية نفسي .

ودلف إلى الحجرة في سرعة ، قبل أن يعترض أحدهم ،

وأغلق بابها خلفه ، ثم استند إليه يلهث في شدة ، قبل أن

يسيطر على أنفاسه ، ويخرج المحقن الفارغ من جيبه ،

مغمغماً :

- أفضل ما أفعله ، هو أن أنهي هذه العملية بسرعة .

واتجه إلى حيث يرقد (حسام) ، وسط أجهزة طبية

عديدة ، وألقى نظرة على وجهه ، وهو يتمتم :

- لم تكن جنسى نرة واحدة من الشك في هويتك .

ثم كشف ذراع (حسام) ، وملاً المحقن الفارغ بالهواء ،

ثم يمينه في عروقه بوي تردد ..

وأصبح الموت قاب قوسين ..

أو أدنى ..

★ ★ ★



ثم كشف ذراع (حسام) ، وملاً المحقن الفارغ بالهواء ، ثم

دسّه في عروقه دون تردّد ..

صحيح أن (أدهم) أصبح يمتلك طائرة هليكوبتر الآن ، وهو ينطلق نحو (لندن) ، إلا أنه كان يعلم أن الطيار محق تماماً فيما قاله ..

من السهل تعقبه فى طائرة هليكوبتر .. ولهذا لم يبلغ (أدهم) قلب العاصمة بطائرته ، وإنما هبط بها على مشارف المدينة ، وسط دهشة المارة البالغة ، وغادرها وهو يهندم ثيابه ، ويستعيد أنفاته ، وابتمس فى وجوه الجميع .. قائلاً :

- هبوط اضطرارى .. تقبلوا اعتذارى .

تبادل المارة نظرات حائرة ، فى حين راح شرطى المرور يشق طريقه بينهم فى حزم ، وهو يقول :

- افسحوا الطريق للشرطة .. لقد ارتكب هذا الرجل مخالفات بالجملة .

وأخرج دفتر مخالفاته ، وهو يسجل بصوت مسموع :

- الهبوط وسط الطريق دون ترخيص ، وتجاوز إشارة حمراء ، و ..

بتر عبارته بغتة ، وهو يتلفت حوله ، قبل أن يهتف :

- أين قائد الهليكوبتر ؟

أشار المارة إلى طريق جانبي ، وقال بعضهم :

- لقد انصرف ، وترك بطاقته .

النقط الشرطى البطاقة التى تركها (أدهم) ، وقرأ عليها اسم (لاتسلوت) ..

سير (لاتسلوت) ..

وفى اللحظة نفسها ، كان (أدهم) يقطع الطريق الجانبى فى خطوات واسعة ، ثم انحرف منه إلى طريق رئيسى ، وعبره إلى آخر فرعى ، وراح يتنقل من طريق إلى آخر ، حتى بلغ أحد الطرق الرئيسية الواسعة ، فاستوقف واحدة من سيارات الأجرة ، وقال لقائدها :

- مطار (هيثرو) .

انطلقت السيارة إلى المطار ، فى حين استرخى هو فى مقعدها الخلفى ، يسترجع الموقف كله ..

لقد حصل على ما يكفيه من معلومات ، ويمكنه تنميتها بالبحث والتحرى فى (نيويورك) ، كما يمكنه الاتصال برجال مكتب المخابرات المصرية هناك ، ليقوموا بعمل التحريات اللازمة ، ويتوصلوا إلى بعض النتائج ، قبل حتى أن يصل إلى هناك ..

ولكن ماذا عن (لاتسلوت) ؟ ..

قفز السؤال إلى ذهنه بغتة ، فاعتقد حاجبيه فى شدة ، وهو يعيد دراسة الموقف كله من جديد ..

لقد انتزع المعلومات كلها من (لاتسلوت) ، ثم تركه
على قيد الحياة ، سليماً معافى ، واستعد للرحيل ..
وهذا لا يصلح قط ..
إنه يعرف طراز الرجال من أمثال (لاتسلوت) ..
إنهم أشبه بالتمور ..
قد تبدو هادئة وديعة ، لو استأنسها المرء منذ حدوثها ،
بل قد تعتاد تناول الفاكهة والخضراوات ..
إلا إذا ذاق طعم الدم ..
مذاق الدم وحده يحيلها إلى وحوش مفترسة ، لا تعرف
الرحمة ، ولا يهنا لها بال ، إلا ببارقة المزيد من الدماء ..
وهزيمة (لاتسلوت) ، رجل المخابرات البريطاني
السابق ، وعميل منظمة (سناك) الحالى ، لها حتماً مذاق
الدم فى حلقه ..
إنها ستثير جنونه ووحشيته ، وتدفعه لارتكاب أفعال
حمقاء وعنيفة ..
أو تدفعه لإبلاغ (سونيا) بكل ما حدث ..
وهذا يصنع فارغاً مخيفاً ..
ستعلم (سونيا) أنه خلفها ، وأنه عرف الكثير من
أسرارها ، وعلم صلتها بزعماء المنظمة ، و ..
ولن تجلس فى انتظاره .

ستختفى بغتة ، كما فعلت من قبل ..
وستحمل معها ابنه ..
ابنهما ..
الابن ، الذى تتخذ منه سلاحاً للضغط عليه وهزيمته ..
ومع اختفاء (سونيا) ، ستصبح كل المعلومات التى
لديه عديمة القيمة ..
« توقف .. »
ألقي ذلك الأمر إلى سائق السيارة فى حزم شديد ، جعل
قدم الرجل تضغط فرامل السيارة على نحو غريزى ، قبل
أن يلتفت إليه ، ويقول فى دهشة :
- ولكننا لم نصل إلى المطار بعد يا سيدى .
ناولته (أدهم) أجراً مضاعفاً ، وهو يقول :
- لا بأس .. سأهبط هنا .
هتف الرجل فى حماس ، عندما رأى النقود :
- هذا حقك يا سيدى .. فلتهبط حيثما يحلو لك .
غادر (أدهم) السيارة ، واتجه فى خطوات سريعة إلى
أقرب هاتف عمومى ، وطلب رقم مكتب المخابرات فى
(لندن) ، ولم يكذ يسمع صوت محدثه ، حتى قال :
- أنا (ن - ١) .
هتف صاحب الصوت :

- (أدهم) .. أهلاً بك يا رجل .. كيف حالك ؟

قال (أدهم) فى سرعة :

- فى خير حال .. اسمعنى جيداً ، فليست لدى دقيقة واحدة أضيعها .. لقد أنهيت الجزء الأكبر من المهمة ، ولكن هناك بوق ينبغى إسكاته أولاً ، وإلا أفسد الحفل الموسيقى كله ، وأعتقد أننى سأبقى حتى أخرسه ، أما بالنسبة لـ (منى) و (حسام) ، فأريد منهما أن ينتظرا نى فى المكان المتفق عليه فى (نيويورك) ، وهذا يعنى ضرورة أن تسافر (منى) إلى هناك ، فى طائرة الثانية ظهراً ، و...

قاطعه زميله فى تردد :

- لست أظن هذا ممكناً يا (أدهم) .

قفز قلق شديد إلى أعماق (أدهم) ، وهو يقبض على سّاعة الهاتف فى قوة ، ويقول :

- ماذا حدث بالضبط ؟

أجاب زميله :

- بالنسبة إليهما ، لم تمر الأمور على ما يرام .

كرّر (أدهم) فى توتر :

- ماذا حدث بالضبط ؟

أجاب زميله فى أسى :

- شرطة (نيويورك) ألقت القبض على (حسام) ، ولكنه هرب منهم ، ممزّراً نصف المبنى تقريباً ، وأصابته بعض رصاصاتهم ، ويبدو أن أحدهم حاول قتله بالسم ، وفقد وعيه فى أحد شوارع (نيويورك) ، فعثرت عليه دورية شرطة ، وهو يرقد الآن فى الحجرة رقم تسعة ، فى مستشفى (بروكلين) .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول فى توتر أكثر :

- وماذا عن (منى) ؟

صمت الرجل لحظة ، ثم أجاب فى تردد :

- لقد .. لقد اختفت .

كادت أصابع (أدهم) تعصر سّاعة الهاتف ، وهو

يقول فى غضب :

- اختفت ؟! .. ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟

أجاب الرجل :

- لقد تطوّرت الأمور ، بينها وبين (لويجى) ، واتضح

أنه يعمل لحساب (المافيا) ، وراحوا يطاردون (منى) فى

قلب (روما) ، وتسببوا فى مصرع الملحق العسكرى

هناك ، ثم ظفروا بها ، ولا ندرى شيئاً عنها .

تفجّر بركان من غضب هائل ، فى قلب (أدهم) ،

وزميله يتابع :

- ولكننا نقوم بتحرياتها ، وسنعتز عليها بإذن الله ، حتى لو كانوا قد تخلصوا منها ، أو ...

قاطععه (أدهم) في صرامة :

- لو أنهم ممنوا شعرة واحدة منها ، لن يجدوا شبرًا واحدًا في الأرض كلها ، يمكنهم الاحتماء فيه وبئس .

قال زميله في قلق :

- (أدهم) .. إنها ليست عملية انتقامية .. لا تنس أن ..

قاطععه (أدهم) مرة أخرى في حزم مخيف :

- إلى اللقاء يا صديقي .

صاح الرجل :

- (أدهم) .. لا تتهور يا رجل ، ولا ..

ولكن (أدهم) أنهى المحادثة ، وكل ذرة في جسده تتفجر بالقلق والغضب والثورة ، واستدار يغادر كابينة الهاتف ، عندما رأى فجأة مسدسًا موصولًا إلى رأسه ، وخلفه (أكسيل) يقول :

- يا للمصادفة !.. لقد التقينا مرة أخرى يا رجل .

رفع (أدهم) قبضته بسرعة ، ليلكم (أكسيل) ، ولكن قبضته توقفت في الهواء ، وحاجباه ينعقدان في شدة ، وهو يدير عينيه في ذلك المشهد المبهر أمامه .. لقد كانت كابينة الهاتف محاطة بجيش من رجال الشرطة ..

أكثر من ثلاثين رجلًا ، يصوبون أسلحتهم إلى هدف واحد ، في تحفز واضح ، وأصابعهم متأهبة لضغط الزناد ، عند أول حركة مريبة منه ..

وفي سخرية شامتة ، قال (أكسيل) :

- هيا .. اعترف يا رجل .. لقد خسرت المعركة .

ولم يعلق (أدهم) على عبارته ، ولكن المشهد الماثل أمامه كان يوحى بأن (أكسيل) على حق ..

لقد خسر (أدهم) هذه المعركة ..

وبكل وضوح .

★ ★ ★

انتهى الجزء الثالث بحمد الله

ويليه الجزء الرابع والأخير

(الضربة القاضية)